تكوين العالم الموصل
سلسلة تحقيقات تراثية ٧

# قَصِيدَةِ

# «اِلْزَمْ بَابَ رَبِّكَ وَاتْرُكْ كُلَّ دُون»

لِلسَيِّد العَارِفِ باللهِ

عَبْدِ اللهِ بنْ عَلَوي الْحَدَّادِ الحَضْرَمِي (١١٣٢ هـ)

نَفَعَنَا اللهُ بِهِ

وعَليهَا شَرْحَان

## شَرْحُ قَصِيدَةِ الْإِمَامِ الْحَدَّادِ

## «اِلْزَمْ بَابَ رَبِّكَ»

لِلشَّيْخِ الْعَلاَّمَةِ

مُحَمَّدْ حَيَاةِ السِّندِيُّ الْمَدَنِيُّ (ت: ١١٦٣هـ)

## تَنبِيهُ الْحَقِّ فِي عِلْمِ الْفِرَقِ

## وَفَتْحُ الْمُتَعَالِي فِي وَقْتِ إِغْفَالِي

للسَّيِّدُ عَبْدُ اللهِ بنُ السَّيِدِ إِبْرَاهِيمْ المِيرْغِنِي (ت: ١٢٠٧هـ)

ضَبَطَهَا وَعَلَّقَ حَوَاشِيهَا

عَبْدُالله بنُ عُمَرُ بنُ عَبْدُ الجُميلي

تكوين العلم الموصل
سلسلة تحقيقات تراثية ٧

# قَصِيدَةِ

## «اِلْزَمْ بَابَ رَبِّكَ وَاتْرُكْ كُلَّ دُون»

لِلسَيِّد العَارِفِ باللهِ

عَبْدِ اللهِ بنْ عَلَوي الْحَدَّادِ الحَضْرَمِي (١١٣٢ هـ)

نَفَعَنَا اللهُ بِهِ

وعَليهَا شَرْحَان

## شَرْحُ قَصِيدَةِ الْإِمَامِ الْحَدَّادِ

## «اِلْزَمْ بَابَ رَبِّكَ»

لِلشَّيْخِ الْعَلاَّمَةِ

مُحَمَّدْ حَيَاةِ السِّنديُّ الْمَدَنِيُّ (ت: ١١٦٣هـ)

## تَنبِيهُ الْحَقِّ فِي عِلْمِ الْفِرَقِ

## وَفَتْحُ الْمُتَعَالِي فِي وَقْتِ إِغْفَالِي

للسَّيِّدُ عَبْدُ اللهِ بنُ السَّيدِ إِبْرَاهِيمْ المِيرْغِنِي(ت: ١٢٠٧هـ)

ضَبَطَهَا وَعَلَّقَ حَوَاشِيهَا

عَبْدُالله بنُ عُمَرُ بنُ عَبْدُ الجُميلي


بسم الله الرحمن الرحيم

## الاهداء

الى شيخنا العارف بالله الشيخ خليل بن محمد بن عبد الله الفياض الذي أنار الله به طريق الحق والذي كان له الإثر الكبير في التعرف على علوم ومؤلفات السَيِّد العَارِفِ باللهِ عَبْدِ اللهِ بنْ عَلَوي الْحَدَّادِ الحَضْرَمِي

نفعنا الله ببركاتهم أجمعين

وبعد فيسر إدارة "مشروع تكوين العالم المؤصل " أن تقدم إصدارها الجديد:

قَصِيدَةِ «اِلْزَمْ بَابَ رَبِّكَ وَاتْرُكْ كُلَّ دُون»

لِلسَيِّد العَارِفِ باللهِ عَبْدِ اللهِ بنْ عَلَوي الْحَدَّادِ الحَضْرَمِي (١١٣٢ هـ)

وعَليهَا شَرْحُ الْعَلاَّمَةِ مُحَمَّدْ حَيَاةِ السِّندِيُّ الْمَدَنِيُّ (ت: ١١٦٣هـ)

وتَنبِيهُ الْحَقِّ فِي عِلْمِ الْفِرَقِ وَفَتْحُ الْمُتَعَالِي فِي وَقْتِ إِغْفَالِي للسَّيِّدُ عَبْدُ اللهِ بنُ السَّيِدِ إِبْرَاهِيمْ المِيرْغِنِي (ت: ١١٩٣ هـ)

الى جمهور الأساتذة والقراء والمثقفين والمتطلعين الى المعرفة، وهو كتاب رقيقة معانيه جميلة مباحثه عهد في الناظم الى تضمين قصيدته معاني جياشة في تعزيز اليقين الرباني والتحقيق الكامل بركن الايمان السادس " الايمان بالقضاء والقدر" وقد قيض المولى الكريم لهذه القصيدة من يزيد وضوح معانيها ويقدمها للقراء الكرام مشفوعة بالنقل عن أهل الشأن.

والباحث الأديب والشاب الأريب سعى الى ضبط نص الشرحين معلقا في حواشيهما ما يوضح المقام ويبينه معتمدا على نسخ خطية تطبع لأول مرة.

واننا في إدارة "مشروع تكوين العالم المؤصل " إذ نقدم هذا العمل الى أهل المعرفة نرفع جزيل الشكر وعاطر الثناء الى الباحث الكريم متمنين له التوفيق في باكورة أعماله وداعين الله تعالى أن يسدد الخطى وأن ينفع بهذا العمل الجليل، وأن يوفق الجميع الى مزيد من العطاء في خدمة الدين العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## المقدمة

الحمد لله الحنَّان المنَّان، دائم الإحسان والامتنان، الذي تقدست مواهبه عن التخصيص بمكانٍ أو زمانٍ، جلَّ عن التَّقييد ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً فسُبحانه كل يومٍ هو في شأْنٍ.

أحمده حَمْدَ من غَرِقَ في بَرِّه، فاعترف بالعجز عن القيام بشكره، وعن أن يقدره حق قدره بعد الإتيان بحسب الطاقة والإمكان، فله الحمدُ إذ يَقِذفُ إذا شاء في قلوب المُريدين لَوْعَة الإرادة، فيُزعِجُهُم إلى سُلوك سَبيل السّعادة، التي هي الإيمانُ والعِبادة، وَمَحْوُ كلّ رَسمٍ وعَادة، وصلاته وسلامه على خيرته من خلقه والمبعوث بخير الأديان، سيدنا ومولانا محمد سَيِّد أهلِ السِّيادة، وعلى آله وأصحابه السَّادة القَادة، في كل حينٍ وأوانٍ[1].

أمّا بعدُ:

فإن الايمان بالغيب وخاصة ايمان العبد بالقضاء والقدر الذي جعله النبي ﷺ أحد أركان الايمان الستة وهو أن يصدق العبد بأن الله يعلم كل شيء جملة وتفصيلا، وأنه مختار لعبده ما يصلح حاله في الأولى والأخرى، فهو سبحانه قد وسع كل شيء علما، كما قال سبحانه

(١) هذه المقدمة اقتبستها من كتب السيد عبد الله الحداد.

وتعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) ومن أعظم فوائد تحقيق هذه المرتبة من الإيمان راحة النفس وطمأنينة القلب كي يصل العبد الى كمال التحقيق كما قال ابْنِ عَطَاءِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ: «**رُبَّمَا أَعْطَاكَ فَمَنَعَكَ، وَرُبَّمَا مَنَعَكَ فَأَعْطَاكَ**».

وهذه القصيدة التي اشتملت على جملة من الأداب بل هي أرفع الأداب التي يجب على المسلم أن يمتثل بها أمام الحق سبحانه وتعالى، وهي تصب في تحقيق ركن الايمان السادس: «الرضا بالقضاء والقدر خيره وشره» -كما أسلفنا- وتسليم الأمر لله تعالى، وأن ذلك المقدر هو خير للانسان، فلو أمكنه الاطلاع عليه وفتح له حجاب الغيب لما اختار الا خِيْرَة الله تعالى له.

كما أن في القصيدة من الأداب التي على مريد طريق الحق أن يتحلى بها وأن يعلم يقينا أن « الَذِى لَغِيْرِكْ لَنْ يَصِلْ إِلَيكْ « فدونك التسليم والرضا لعطايا مولاك.

وقد كان لأهمية هذه القصيدة التي سهلت عبارتها وجاءت جياشة معانيها أن يكتب الله بها الانتفاع للعالم والمتعلم، بل وحتى العامي إن وضُحت وكشفت له تلك المعاني، وقد قيض الله لها من يوضح ويوسع دائرة معانيها فشرحها الشيخ مُحَمَّدْ حَيَاةِ السِّنْدِيُّ الْمَدَنِيُّ (ت: ١١٦٣هـ)،شرحا قصد فيه بيانا خاليا من الاطناب حيث عهد الى بعض

الابيات بتوضيح ما يسمح به المقام، فأحسن وأجاد.

ثم شرحها الشيخ عَبْدُ اللهِ بنُ السَّيِدِ إِبْرَاهِيمْ المِيرْغِنِي شرحا أوسع من الأول فبين المعاني ووشاها بنقل عبارات السلف الماضين من أهل هذه الطريق، كما أنه جعل مواطن الاستشاد فيها موصولة بالحكم العطائية فزاد الشرح نوراً على نور.

وقد قدمت بترجمة مختصرة لِلسَيِّد العَارِفِ باللهِ عَبْدِ اللهِ بنْ عَلَوي الْحَدَّادِ الحَضْرَمِي (١١٣٢ هـ)، صاحب القصيدة، وكذا ترجمة للشيخ مُحَمَّدْ حَيَاةِ السِّنِدِيُّ الْمَدَنِيُّ (ت: ١١٦٣هـ)،صاحب الشرح الأول للقصيدة، وقدمت ترجمة للسَّيِّدُ عَبْدُ اللهِ بنُ السَّيِدِ إِبْرَاهِيمْ المِيرْغِنِي صاحب الشرح الثاني، اعتمت على نسخ خطية حيث نسختها وضبطت نصوصها مشكولة، ولم يكن همي أن أزيد في حواشيهما بعداً عن الإثقال، مريدا للقاري أن يُسرّح فكره مع تلك المعاني ليحصل له تمام النفع، ألا أني لم أخل تلك الحواشي من تخريج للحديث وتوضيح لمعنى مع بعض عزوٍ للأقوال، سائلاً المولى جل في علاه أن يجزي خير الجزاء السيد العَارِفِ باللهِ عبدالله الحداد وأن ينفعنا ببركاته وعلومه، وأن يعم النفع بهذين الشرحين، وأن يكتب لي ولوالدي الأجر والنفع إنه جواد كريم.

# إسعاد الفؤاد في ترجمة السيد عبد الله الحداد

## أسمه ونسبه[١]

هو عبد الله بن علوي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علوي بن أحمد الحداد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن علوي عم الفقيه المقدم بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر بن عيسى بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن الإمام علي بن

(١) تنظر ترجمته في المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل باعلوي للعلامة الشلي (ت ١٠٩٣هـ)، اية القصد والمراد في مناقب شيخ العباد والبلاد للعلامة محمد بن زين بن سميط، المتوفى سنة (١١٧٢هـ)، بهجة الفؤاد وبغية المرتاد في مناقب شيخ العباد للحبيب محمد بن سميط ،نس الراغب في تتميم المناقب للحبيب العلامة علوي بن أحمد بن حسن الحداد، المواهب والعطايا والإمداد للشيخ عبدالله بن محمد باشراحيل الأشرم الشبامي،إرشاد العباد لبعض مناقب قطب الإرشاد للسيد عقيل بن محمد بن عبدالله بن حسين السقاف المكي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للشيخ محمد خليل المرادي الدمشقي (ت ١٢٠٦هـ)، الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر الهجري، سيرته ومنهجه، والإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر الهجري، السيرة المصورة، كلاهما من تأليف وجمع د. مصطفى البدوي.

أبي طالب، والإمام علي زوج فاطمة بنت محمد فهو الحفيد ٢٩ لرسول الله محمد في سلسلة نسبه.

ولد في السُّبَير من ضواحي مدينة تريم في حضرموت، وذلك ليلة الاثنين الخامس من شهر صفر سنة ١٠٤٤ هـ. نشأ بتريم وحفظ بها القرآن الكريم والإرشاد وغيره من المتون، ولما بلغ من العمر نحو الأربع سنوات أصيب بمرض الجدري فأدى ذلك إلى فقدانه البصر. وكان له أصدقاء طفولة، منهم عبد الله بن أحمد بلفقيه، وأحمد بن عمر الهندوان، وأحمد بن هاشم بن أحمد الحبشي، وعلي بن عمر بن الحسين بن الشيخ علي، وعلي بن عبد الله بن أحمد العيدروس.[1] وفي عام ١٠٧٢ هـ، وعمره حينئذ الثامنة والعشرون، توفي والده علوي، وذلك ليلة الاثنين الأولى من شهر رجب، ثم بعد وفاته بنحو خمسة أيام، مرضت الوالدة، ودام عليها المرض قريبًا من عشرين يوما، إلى أن توفيت ضحى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر رجب. وقد توفي في هذه السنة أيضًا أحد مشايخه وهو عمر بن عبد الرحمن العطاس.

## اولاده وذريته

وله من الأبناء ستة هم: حسن، وعلوي، ومحمد، وسالم، وحسين، وزين. وخصّ ابنه محمدًا للقيام بوساطات بالنيابة عنه بين القبائل

للإصلاح بينهم، وقد نجح ابنه في نزع فتيل الحرب بين بعض القبائل، وزوَّجه من قبيلة آل كثير لتوثيق عرى المودة والإخاء بينه وبين القبائل المسلحة، وقد توفي ابنه محمد بذمار.

وأما حسن وعلوي فهما اللذان قاما مقامه في تدريس العلوم وإطعام الفقراء والمساكين وإيواء الغرباء والوافدين، وقد توفي علوي بمكة المكرمة إثر حجه في عام **١١٥٣** هـ، وحسن توفي بتريم وقد كان يسميه الحكيم، وقد طال عمره كما وعده والده وأخذ عنه الحاضر والباد وألحق الأحفاد بالأجداد وتوفي عام **١١٨٨** هـ.

وأما زين فقد سافر بعد موت والده إلى جهة العراق وحصل له بذلك البلد جاه وعز رفيع لاعتقاد الناس في والده، وهو شاعر غزلي شعبي، وقد توفي زين بعمان ببلدة صير عام **١١٥٧** هـ. وسالم توطن المشقاص وأولد بها ورجع إلى تريم وبها توفي عام **١١٦٥** هـ. وأما ابنه حسين فقد ابتلي في آخر عمره من أمراض تحملها بجميل الصبر والرضى إلى أن توفي.

### أشياخه الذين أخذ عنهم

تتلمذ على عدد من العلماء يفوق عددهم المئة والأربعين، من أشهرهم:

١. عمر بن عبد الرحمن العطاس

٢. عبد الرحمن بن شيخ مولى عيديد

٣. عقيل بن عبد الرحمن السقاف

٤. سهل بن أحمد باحسن الحديلي

٥. محمد بن علوي السقاف

**تلامذته**

تلاميذه كثيرون ويأتي في مقدمتهم أولاده ومن هؤلاء الفضلاء:

١. أحمد بن زين الحبشي

٢. محمد بن زين بن سميط

٣. عمر بن زين بن سميط

٤. عمر بن عبد الرحمن البار

٥. عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

٦. محمد بن عمر بن طه الصافي السقاف

٧. علي بن عبد الله السقاف

٨. قايد بن عبد الله بن أحمد الحداد

**ذهابه للحج وزيارته للنبي المصطفى ﷺ**

خرج للحج في سنة ١٠٧٩ هـ، وقصد أولًا بندر الشحر، وأقام به نحو نصف شهر، ثم سافر إلى بندر عدن .وكان دخوله مكة المشرفة أول

يوم في شهر ذي الحجة، ونزل في بيت الشيخ حسين بأفضل، واتفق تلك السنة الوقوف بعرفة يوم الجمعة. ويُؤثر أنه صلّى بالناس إمامًا في الحرم المكي صلاة الفجر يوم الجمعة أول محرم عام ١٠٨٠ هـ. وبعد انقضاء الحج وأداء المناسك بأجمعها سافر إلى المدينة المنورة لزيارة جده المصطفى ﷺ، ونزل في ضيافة عمر أمين المهدلي، ودخلوا المسجد النبوي وصلوا في الروضة المطهرة ثم وقفوا أمام المواجهة الشريفة وفيها يقول عبد الله الحداد:

إلى مسجد المختار ثم لروضة ... بها من جنان الخلد خير المصائر
إلى حجرة الهادي البشير وقبره ... وثَمَّ تقرُّ العين من كل زائر
وقفنا وسلّمنا على خير مرسل ... وخير نبي ماله من مناظر
فرد علينا وهو حيٌّ وحاضرٌ ... فشُرِّفَ من حيٍّ كريمٍ وحاضر
زيارته نجح وفوز ومغنم ... لأهل القلوب المخلصات الطواهر
بها يحصل المطلوب في الدين والدُّنا ... ويندفع المرهوب من كل ضائر
بها كل خير عاجل ومؤجل ... ينال بفضل الله فانهض وبادر
وإياك والتسويف والكسل الذي ... به يُبتلى كم من غبي وخاسر
فإنك لا تجزي نبيك يا فتى ... ولو جئته سعيًا على العين سائر

**ومن جليل أقواله :**

- قال في حديث ماء زمزم لما شرب له: "يعني من شربه لمرض شفاه الله، أو لجوع أشبعه الله، أو لحاجة قضاها الله، لأنها في الأصل للاستغاثة أعان الله بها إسماعيل عليه السلام. وقد جربه كثير من الأئمة في المطالب فوجدوه صحيحًا من خبره عليه الصلاة والسلام ولكن يحتاج إلى نية وإخلاص ما هو لكل الناس".
- وقال في شأن الذكر: "الأوراد لا تنفع إلا مع الدوام ولا تؤثّر إلا مع الحضور، وأما كثرة الأوراد مع العجلة والغفلة وقلة الحضور مع الله تعالى فنفعها قليل، وليست تخلو من نفع ودفع إن شاء الله تعالى بفضله العظيم وببركة رسوله الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم".

**مؤلفاته ورسائله**

ترك الحداد عددًا من المؤلفات التي قد طبعت وتُرجم بعضها إلى لغات عديدة، وبعض قصائده أُلفت الشروح عليها كما كُتبت عدة شروح لراتبه ولورده اللطيف، ومن أشهر هذه الكتب:

١. «إتحاف السائل بجواب المسائل»

٢. «الحِكَم» مجموعة من حكمه العجيبة

٣. «الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم» ديوان شعر

٤. «الدعوة التامة والتذكرة العامة»

٥. «الفصول العلمية والأصول الحكمية»

٦. «النصائح الدينية والوصايا الإيمانية»

٧. «النفائس العلوية في المسائل الصوفية»

٨. «رسالة آداب سلوك المريد»

٩. «رسالة المذاكرة مع الإخوان المحبين من أهل الخير والدين»

١٠. «رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة»

١١. «سبيل الإدكار والاعتبار بما يمر بالإنسان وينقضي له من الأعمار»

١٢. «عقيدة أهل الإسلام»

١٣. مجموع أوراده وأذكاره «وسيلة العباد إلى زاد المعاد»

١٤. مجموع رسائله «المكاتبات»

مجموع كلامه «تثبيت الفؤاد بذكر مجالس القطب عبد الله الحداد»

**وفاته**

توفي ليلة الثلاثاء السابع من شهر ذي القعدة سنة **١١٣٢** هـ بالحاوي بمدينة تريم عن عمر قارب التسعين عاما، ودفن في مقبرة زنبل، وهي مقبرة الاشراف، وفيها عصبة من الصحابة الكرام، أرسلهم أبو بكر الصديق لقتال أهل الردة مع زياد بن لبيد الأنصاري في حضرموت، فمات كثيرون منهم بتريم وقبروا فيها، وأول من دفن بها من السادة بني علوي الإمام علي بن علوي خالع قسم المتوفى سنة **٥٢٧** هـ.

# القَصِيدَةِ

قال السَيِّد عَبْدِ اللهِ الْحَدَّادِ (١١٣٢ هـ) رضي الله عنه:

اِلْـزَمْ بَـابَ رَبَّـكْ وَاتْـرُكْ كُلَّ دُونْ وَاسْـأَلْهُ السَّـلاَمَهْ مِـنْ دَار الفُتُـونْ
لاَيَضِيـقْ صَـدْرُكْ فَالْحَـادِثْ يَهُـونْ اللهُ الْمُقَـدِّرْ وَالْعَـالَمْ شُـئُونْ
( لاَ يَكْثُرْ هَمُّكْ مَاقُدِّرْ يَكُونْ )

فِكْـرَكْ وَاخْتِيَـارَكْ دَعْهُـمَا وَرَاكْ وَالتَّدْبِيرَ أَيْضاً وَاشْـهَدْ مَـنْ يَـرَاكْ
مَـوْلاَكَ الْمُهِيْمِـنْ إِنَّـهُ يَـرَاكْ فَـوِّضْ لَـهُ أُمُرَكْ واحْسِـنْ فِي الظُّنُونْ
( لاَ يَكْثُرْ هَمُّكْ مَاقُدِّرْ يَكُونْ )

لَـوْ وَلِمْ وَكَيـفْ قُـوْلُ ذِي الْحَمَـقْ يعْـتَرِضْ عَـلَى اللهِ الـذِي خَلَـقْ
وَقَـضَى وَقَـدَّرْ كُلَّ شَـيءْ بِحَـقّ يَاقَلْبِـي تَنَبَّـهْ وَاتْـرُكِ المجُـونْ
( لاَ يَكْثُرْ هَمُّكْ مَاقُدِّرْ يَكُونْ )

قَـدْ ضَمِـنْ تَعَـالَى بِالـرِّزْقِ القَـوامْ فِي الكِتَـابِ الْمُنْـزَلْ نُـوراً للأَنَـامْ
فَالرِّضَـا فَرِيضَـةْ وَالسَّـخَطْ حَـرَامْ وَ القَنُـوعْ رَاحَـةْ وَالطمَـعْ جُنُـونْ
( لاَ يَكْثُرْ هَمُّكْ مَاقُدِّرْ يَكُونْ )

أَنْـتَ وَالخْلاَئِـقْ كُلُّهُـمْ عَبِيـدْ وَالإِلَـهُ فِينَـا يَفْعَـلُ مَـا يُرِيـدْ
هَمُّكْ وَاغْتِمَامُكْ وَيْحَكْ مَا يُفِيدْ اَلْقَضَـا تَقَـدَّمْ فَاغْنَـمِ السُّـكُونْ

( لاَ يَكْثُرُ هَمُّكْ مَاقُدِّرْ يَكُونْ )

الَـذِى لَغِـيْرِكْ لَـنْ يَصِـلْ إِلَيـكْ وَالَّـذِي قُسِـمْ لَـكْ حَاصِلٌ لَدَيـكْ
فَاشْـتَغِلْ بِرَبَّـكْ وَالـذِى عَلَيـكْ فِي فَرْضِ الْحَقِيقَهْ وَالشَّرْعِ المَصُونْ

( لاَ يَكْثُرُ هَمُّكْ مَاقُدِّرْ يَكُونْ )

شَرْعُ الْمُصَطَفَـى، الْهَـادِى البَشِـيرْ خَتْـمِ الأَنْبِيَـا، الْبَـدْر الْمُنِـيرْ
صَـلَّى اللهْ عَلَيْـهِ، الـرَّبّ الْقَدِيـرْ مَـا رِيحُ الصَّبَـا، مَالَـتْ بِالْغُصُـونْ

( لاَ يَكْثُرُ هَمُّكْ مَاقُدِّرْ يَكُونْ )

# شَرْحُ قَصِيدَةِ الْإِمَامِ السَيِّد العَارِفِ باللهِ
# عَبْدِ اللهِ بنْ عَلَوي الْحَدَّادِ الحَضْرَمِي
## «اِلْزَمْ بَابَ رَبِّكَ»

لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ

مُحَمَّدْ حَيَاةِ السِّنديُّ الْمَدَنِيُّ (ت: ١١٦٣هـ)

# الرَّوضُ النَّدِيُ فِي تَرْجَمَةِ الشَّيخِ مُحَمَّد حَيَاة السِّنْدِي

**اسمه ونسبه**

هو محمَّد حياة بن ابراهيم السِّندي نسبة الى إقليم السند، حيث ولد بمدينة (جاجر) ونشأ بها، ثمَّ انتقل إلى مدينة (تته). قاعدة بلاد السند[١].

**طلبه للعلم وأبرز مشايخه:**

كان بواكير طلب الشيخ للعلم في مدينة (تته)، حيث أخذ عن علمائها وفي مقدمتهم علاَّمة الهند الشيخ وليّ الله الدَّهلوي، وأكثر الملازمة للشيخ محمَّد معين بن محمَّد أمين التتوي السندي،ثم توطن الحرمين وأخذ عن علامائها، وأختص بالشيخ أبا الحسن بن عبد الهادي السندي المدني، وجلس مجلسه بعد وفاته أربعًا وعشرين سنة.

ومن أبرز مشايخه في الاسناد الشيخ عبد الله بن سالم البصري، والشيخ أبو طاهر محمَّد بن إبراهيم الكردي المدني، والشيخ أبو الأسرار حسن بن علي العجيمي، وغيرهم.

---

(١) تنظر ترجمته في: سلك الدرر للمرادي ٤/ ٣٤، عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ١/ ٤١، أبجد العلوم للقنوجي ٣/ ١٦٣، الأعلام) للزركلي ١/ ٤١،الإعلام بما في تاريخ الهند من الأعلام) للشريف الحسني: ٨١٥ .

**تلاميذه:**

ولما تأهل للتدريس والنفع جائه الطلبة من كل حدب وصوب حتى قال عنه القنوجي في (أبجد العلوم) (٣/ ١٧٠): «شدَّ حزامه على درس الحديث النبوي، وأفنى عمره في خدمة الكلام المصطفوي، وكان يعظ النَّاس قبل صلاة الصبح بالمسجد الشريف، وانتفع به خلقٌ كثير من العرب والعجم، وأقبل عليه أهل الحرمين ومصر والشام والرُّوم والهند بالاعتقاد والانقياد».

ومن أبرز وأشهر من أخذ عنه الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب، والشيخ محمَّد بن إسماعيل الصنعاني.

**مؤلفاته**

للشيخ اهتمام بالتأليف وقد خلف مؤلفات عدة منها:

١. إرشاد النقَّاد إلى تيسير الاجتهاد.

٢. الإيقاف على سبب الإختلاف.

٣. تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام.

٤. تحفة المحبِّين شرح الأربعين للنووي.

٥. الجُنّة في عقائد أهل السنّة.

٦. شرح الأربعين لعلي القاري.

٧. شرح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، في مجلدين.

٨. شرح الحِكَم العطائية.

٩. شرح مقدمة في العقائد

١٠. مختصر الزواجر لابن حجر الهيتمي.

**ثناء العلماء عليه**

وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل أفناها في خدمة حديث النبي ﷺ، تلك الحياة التي اجمعت كتب التراجم على أن صاحبها كان له المقام الاسمى اخلاصاً وعملاً.

قال عنه المرادي: (المحدِّث الفهَّامة حامل لواء السُّنَّة بمدينة سيِّد الإنس والجنَّة)[١].

وقال القنوجي: (كان من العلماء الرَّبَّانِيِّين وعظماء المحدِّثين)[٢]

وقال ابن بشر الحنبلي: (كانت له اليد الطولى في معرفة الحديث وأهله)[٣].

وقال عبد الحيّ الكتاني: (مُحدِّث الحجاز)[٤].

---

(١) سلك الدُّرر ٤/ ٣٤.

(٢) أبجد العلوم ١/ ١٦٩

(٣) عنوان المجد ١/ ٤١

(٤) فهرس الفهارس ١/ ٣٥٦

وقال مؤرِّخ الهند الكبير العلاَّمة الشريف عبد الحي ابن فخر الدين الحسني: (الشيخ الإمام الكبير المحدِّث محمَّد حياة ابن إبراهيم السندي المدني، أحد العلماء المشهورين)[١].

اختاره الله تعالى الى جواره حيث توفي. رحمه الله تعالى. آخر ليلة الأربعاء لأربع من صفر سنة ثلاث وستّين ومائة وألف (١١٦٣هـ) بالمدينة النبوية ودفن بالبقيع، رحمه الله رحمة عامة.

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام: ٨١٥.

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ[١]

وَبِهِ نَسْتَعِينُ -فَهُوَ الْمُعِينُ-

الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي عَلِمَ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ وُجُودِهَا، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا، وَعَلِمَ حَقَائِقَهَا الَّتِي أَعْطَاهَا إِيَّاهَا بِحِكْمَتِهِ، وَجَعَلَهَا لِأَسْمَائِهِ مَظْهَرًا، ثُمَّ أَوْجَدَهَا عَلَى طِبْقِ مَا تَقَدَّمَ، فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ وَأَحْكَمَهُ أَمْرًا.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي أَعْطَاهُ مَا لَمْ يُعْطِ مَلَكًا وَلَا بَشَرًا، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ فَازُوا بِهِ وَمُنِحُوا بِبَرَكَتِهِ فَضْلاً وَفَخْرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا قَدْرٌ قَلِيلٌ فِي شَرْحِ قَصِيدَةِ مَنِ اسْمُهُ مَذْكُورٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وَمَن ظَهَرَ فِيهِ آثَارُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البَيتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطهِيرا ٣٣﴾ [الأحزاب].

اِلْـزَمْ بَـابَ رَبِّـكَ وَاتْـرُكْ كُلَّ دُون ... وَاسْـأَلْهُ السَّـلَامَةَ مِـن دَارِ الْفُتُـون

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِهِ: «**الْزَمْ بَابَ رَبِّكَ**»: أَيِ الْزَمْ يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمَخْلُوقُ بَعْدَ الْعَدَمِ بَابَ رَبِّكَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ مَا لَا يُحْصَى

---

(١) طبع هذا الشرح بعناية الأستاذ نزار حمادي بارك الله فيه، وهو متاح على الشبكة وقد أفدت منه.

مِنَ النِّعَمِ، وَصَرَفَ عَنكَ مَا لَا يُحْصَرُ مِنَ النِّقَمِ، وَقَدْ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات]، وَأَمَرَكَ بِهَا كَمَا قَالَ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعبُدُواْ اللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وَلُزُومُ بَابِهِ تَعَالَى - لُزُومُ عِبَادَتِهِ الَّتِي أَرْسَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَدْعُو إِلَيْهَا وَيُبَيِّنَهَا، وَهَذَا الْبَابُ هُوَ الَّذِي فَتَحَهُ لِحَبِيبِهِ، وَأَمَرَهُ أَن يَدْعُو الْخَلْقَ إِلَيْهِ وَيُرَغِّبَهُمْ فِي الدُّخُولِ مِنْهُ، وَسَدَّ بَقِيَّةَ الْأَبْوَابِ.

ثُمَّ الْعِبَادَةُ الَّتِي «**الْبَابُ**» - عِبَارَةٌ عَنْهَا: ظَاهِرِيَّةٌ، وَبَاطِنِيَّةٌ.

**فَأَمَّا الْبَاطِنِيَّةُ:** فَاعْتِقَادِ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَأَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِكُلِّ وَصْفٍ يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى، وَكُلَّ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ أَنبِيَاؤُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فَهُوَ حَقٌّ، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ صِدْقٌ لَا رَيْبَ فِيهِ أَبَدًا، وَمَحَبَّتُهُ تَعَالَى وَمَعْرِفَةُ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، وَتَحْلِيَةُ الْبَاطِنِ بِكُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، وَتَخْلِيَتُهُ عَنْ كُلِّ خُلُقٍ لَئِيمٍ.

وَيُعْرَفُ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْفِقْهِ وَكَلَامِ مَن جَمَعَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ كَصَاحِبِ «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ»[1] وَصَاحِبِ «إِحْيَاءُ

(١) لابن قيم الجوزية(٧٥١هـ).

عُلُومِ الدِّينِ»[١] وَأَمْثَالِهِمَا.

**وَأَمَّا الظَّاهِرِيَّةُ:** فَاسْتِعْمَالُ كُلِّ عُضْوٍ فِيمَا فُرِضَ عَلَيْهِ أَوْ نُدِبَ مِنْهُ، وَحِفْظُهُ عَمَّا لَا يَنبَغِي صُدُورُهُ مِنْهُ، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ الْمَأْمُورَاتِ وَالْمَنْدُوبَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ.

ثُمَّ النَّاسُ فِي لُزُومِ الْبَابِ - ثَلَاثَةُ طَوَائِفَ:

طَائِفَةٌ تُؤَدِّي حَقَّ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ، مَعَ مُشَاهَدَتِهَا إِيَّاهُمَا، وَحَقِيقَةُ هَذَا الْأَدَاءِ: صَرْفُ الْمُكَلَّفِ الْبَدَنَ -ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ- فِيمَا يُرْضِي الْمَوْلَى، وَكَفُّهُ عَمَّا يَكْرَهُهُ، مَعَ عِلْمِهِ وَقْتَ الْأَدَاءِ دَائِمًا أَوْ غَالِبًا -بَلْ فِي عُمُومِ الْأَوْقَاتِ- رُبُوبِيَّةَ الرَّبِّ وَعُبُودِيَّةَ نَفْسِهِ عُبُودِيَّةً مُطْلَقَةً جَامِعَةً لِأَنْوَاعٍ شَتَّى، فَإِذَا طُولِبَ مِنْهُ الصَّلَاةُ يُؤَدِّيهَا عَلَى أَكْمَلِ أَحْوَالِهَا، وَكَذَا الصَّوْمُ وَالْحَجُّ وَالزَّكَاةُ، وَإِذَا طُولِبَ مِنْهُ الْجِهَادُ يُجَاهِدُ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَإِذَا طُولِبَ مِنْهُ الذِّكْرُ ذَكَرَ اللهَ بِقَلْبِهِ وَقَالِبِهِ، وَإِذَا طُولِبَ مِنْهُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ قَامَ للهِ، وَأَمَرَ مَن قَصَّرَ فِي حَقِّهِ، لَا يَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَإِذَا طُولِبَ مِنْهُ النَّهْيُ عَنِ الْمُنكَرِ قَامَ لِرَبِّهِ وَنَهَى عَنْهُ، وَلَا يُرَاعِي أَحَدًا، وَلَا يُدَاهِنُ كَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ، وَإِذَا طُولِبَ مِنْهُ الِاخْتِلَاطُ يُخَالِطُ مَعَ عِبَادِ اللهِ بِالنَّصِيحَةِ وَالْإِرْشَادِ وَالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَقِسْ عَلَى هَذَا بَقِيَّةَ الْأُمُورِ.

---

(١) لأبي حامد الغزالي(٥٠٥هـ)

وَهَذِهِ الْعُبُودِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ الْجَامِعَةُ: عُبُودِيَّةُ الْأَنبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَن نَابَ مَنَابَهُم مِنَ الْأَوْلِيَاءِ.

وَطَائِفَةٌ مَقْصُودُهَا مُشَاهَدَةُ مَن لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ، وَالذُّهُولُ عَمَّا سِوَاهُ، حَتَّى عَنِ النَّفْسِ، بَلْ عَنْ شُعُورِهَا بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَيُعَبِّرُونَ عَنْ هَذَا بِالْفَنَاءِ فِي اللهِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ عِندَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ.

وَطَائِفَةٌ مَقْصُودُهَا اسْتِعْمَالُ الْأَبْدَانِ فِي مَرْضَاةِ الرَّحْمَنِ بِأَدَاءِ الْوَظَائِفِ الشَّرْعِيَّةِ مَعَ الْإِخْلَاصِ لِلهِ وَإِن فَاتَ وَقْتُ تَحْصِيلِهَا، مَعَ مُشَاهَدَةِ الرَّبِّ وَحُضُورِهِ فِي الْقَلْبِ.

وَاخْتُلِفَ فِي هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، فَكَلَامُ بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ مَائِلٌ إِلَى تَرْجِيحِ الْأُولَى، وَكَلَامُ بَعْضِ الْمُحَقِّقِينَ مَائِلٌ إِلَى تَرْجِيحِ الثَّانِيَةِ إِذَا كَانَت مُخْلِصَةً فِي أَدَاءِ الْوَظَائِفِ الشَّرْعِيَّةِ، وَإِلَيْهِ يُشِيرُ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**»[1].

«**وَاتْرُكْ كُلَّ دُونْ**»: أَي اتْرُكْ كُلَّ مَا سِوَاهُ تَعَالَى فَلَا تَعْتَمِدْ عَلَيْهِ وَلَا تَشْتَغِلْ بِهِ عَن رَبِّكَ؛ إِذْ لَا يَجُوزُ الِاعْتِمَادُ عَلَى مَا هُوَ مُحْتَاجٌ فِي وُجُودِهِ وَبَقَائِهِ وَإِصْلَاحِهِ إِلَى غَيْرِهِ، لَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، بَل لَا يَنبَغِي الِاعْتِمَادُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني (٨/٢٧٨) (٧٩١١، ٧٩١٢)، صححه الألباني.

إِلَّا عَلَى رَبِّ الْأَرْبَابِ، لَا الْأَسْبَابِ، وَلَا يَنبَغِي الْاشْتِغَالُ إِلَّا بِمَنِ الْاشْتِغَالُ بِهِ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ وَالْإِعْرَاضُ عَنْهُ عَلَامَةُ شَقَاوَةِ الْكَوْنَيْنِ.

عَجَبًا لِمَن يَعْتَمِدُ عَلَى مَا لَا يَنفَعُهُ -لَوْ نَفَعَهُ- إِلَّا بِإِرَادَةِ الرَّبِّ، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى مَن بِيَدِهِ الْأُمُورِ كُلِّهَا!

عَجَبًا لِمَن يَشْتَغِلُ بِمَا الْاشْتِغَالُ بِهِ عَبَثٌ وَلَغْوٌ، وَيَتْرُكُ الْاشْتِغَالَ بِمَنِ الْاشْتِغَالَ بِهِ سَعَادَةٌ! مَا هَذَا الْحِجَابُ؟!

مَا حَجَبَ عَن رَبِّ الْأَرْبَابِ إِلَّا مُشَاهَدَةُ الْأَسْبَابِ وَعَدَمِ صُدُورِهَا عَنِ الْوَهَّابِ، فَمَن شَاهَدَ صُدُورَهَا عَنْهُ لَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا وَلَا يَشْتَغِلُ بِهَا عَن رَبِّهَا وَإِن كَانَ يَسْتَعْمِلُهَا امْتِثَالًا لِأَمْرِ رَبِّهَا الَّذِي جَعَلَ فِي رَبْطِ الْمُسَبَّبَاتِ بِهَا حِكَمًا لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ.

**فَالْكَامِلُ:** مَن يُبَاشِرُهَا مَعْ مُرَاعَاةِ حُدُودِ الشَّرْعِ فِيهَا، وَيَعْرِفُ صُدُورَهَا مِن بَارِئِهَا، وَيُكْشَفُ لَهُ عَمَّا هُوَ مَكْنُونٌ فِيهَا مِنَ الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْحِكَمِ الرَّبَّانِيَّةِ.

وَتَارِكُهَا -مَعَ صِدْقِ تَوَكُّلِهِ عَلَى خَالِقِهَا- قَاصِرٌ مُعَطِّلٌ.

وَمُبَاشِرُهَا مَعَ نَظَرِهِ إِلَيْهَا وَاعْتِمَادِهِ عَلَيْهَا وَذُهُولِهِ عَن مُوجِدِهَا مُحْتَمِلُ الدُّخُولِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف]، وَفِي كُتُبِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ وَأَحْوَالِ الطَّائِفَةِ الْمُرْسَلَةِ دَلَائِلُ

عَلَى مَا فَصَّلْنَاهُ، وَتَحْتَ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ أَفْرَادٌ مُخْتَلِفَةُ الْأَحْوَالِ.

«**وَاسْأَلْهُ السَّلَامَةَ مِن دَارِ الْفُتُون**»: أَيِ اسْأَلِ اللهَ -الَّذِي بِيَدِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا- السَّلَامَةَ وَالنَّجَاةَ مِن شَرِّ دَارِ الْفِتَنِ.

وَ«الْفُتُون» مَصْدَرُ: فِتْنَة، وَالْفِتْنَةُ لَهَا مَعَانٍ، مِنْهَا: الضَّلَالُ، وَالْإِثْمُ، وَالْكُفْرُ، وَالْفَضِيحَةُ، وَالْعَذَابُ، وَالْإِضْلَالُ، وَالْمِحْنَةُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالْأَوْلَادُ، وَاخْتِلَافُ النَّاسِ فِي الْآرَاءِ.

وَهَذِهِ الدَّارُ مَمْلُوءَةٌ مِنْ هَذِهِ، وَهِيَ الَّتِي ذَمَّهَا بَارِئُهَا وَحَقَّرَ أَمْرَهَا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا: ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ ١٨٥﴾ [النساء، الحديد: ٢٠]، وَزَهَّدَ فِيهَا بِبَيَانِ خِسَّتِهَا وَحَقَارَتِهَا وَفَنَائِهَا وَبُغْضِهِ إِيَّاهَا، وَهِيَ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ وَمَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالَاهُ**»(١).

وَقَالَ فِيهَا: «**إِنَّهَا أَهْوَنُ عَلَى بَارِئِهَا مِنَ الْمَيْتَةِ**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع وقال: «حديثٌ حسنٌ» ابن أبي عاصم في ((الزهد)) (١٢٧)، والطبراني في ((مسند الشاميين)) (٦١٢)، قال القرطبي: لا يفهم من هذا الحديث سب الدنيا مطلقاً ولعنها، فقد جاء من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً «لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن، عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشرّ.

(٢) أخرجه أخرجه الترمذي (٢٣٢١) واللفظ له، وابن ماجه (٤١١١)، وأحمد (١٨٠٢١) كلهم من حديث المستورد بن شداد ولفظه قال « كنتُ معَ الرَّكبِ الَّذينَ وقفوا معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ علَى السَّخلةِ الميِّتةِ فقالَ رسولُ

وَقَالَ فِيهَا: «**إِنَّهَا لَا تَعْدِلُ عِندَهُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»(١)، وَقَبَّحَ أَمْرَهَا أَشَدَّ التَّقْبِيحِ، وَنَفَّرَ عَنْهَا أَشَدَّ التَّنفِيرِ.

وَلِأَجْلِ مَا تَقَدَّمَ جَعَلَهَا بَارِئُهَا جَنَّةً لِأَعْدَائِهِ، وَسِجْنًا لِأَحِبَّائِهِ، كَصَفِيِّهِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَصَّرَ فِي أَمْرِهِ بِتَقْدِيرِهِ.

وَمِن فِتَنِهَا: تَرْكُ بَابِ الْمَوْلَى وَالْاشْتِغَالُ بِغَيْرِهِ، وَمِنهَا: الْابْتِلَاءُ بِالْخَطَايَا الْمُبْعِدَةَ عَن كَرَمِ الرَّبِّ وَرَحْمَتِهِ، وَمِنْهَا: الْبَلَايَا الْمُدْهِشَةَ وَالدَّوَاهِي الْهَائِلَةَ الَّتِي لَا يَكَادُ يَثْبُتُ مَعَهَا قَدَمُ السَّالِكِ عَلَى جَادَّةِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمِنْهَا: تَسْلِيطُ النُّفُوسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ وَالشَّيَاطِينِ.

وَلَا يُمْكِنُ الْخَلَاصُ مِنْهَا إِلَّا بِإِعَانَةِ اللهِ الَّذِي ابْتَلَى عَبِيدَهُ بِهَا، فَيَنبَغِي الرُّجُوعُ إِلَيْهِ فِي الْحِفْظِ عَن شُرُورِهَا، وَمَدُّ أَكُفِّ التَّضَرُّعِ إِلَيْهِ لِلنَّجَاةِ مِن دَوَاهِيهَا، وَقَطْعُ النَّظَرِ عَمَّا عَدَاهُ وَعَدَمُ الْمُبَالَاةِ بِهَا وَبِبَلَايَاهَا؛ لِأَنَّهَا مَا أَبْرَزَتْ إِلَّا مَا هُوَ مُقْتَضَى حَقِيقَتِهَا وَخَاصَّةِ ذَاتِهَا.

﴿لَا يَضِيقُ صَدْرُكَ فَالْحَادِثُ يَهُون ... اَللهُ الْمُقَدِّرُ وَالْعَالَمُ شُؤُون﴾

«**لَا يَضِيقُ صَدْرُكَ فَالْحَادِثُ يَهُون**»: أَيْ لَا يَضِقْ قَلْبُكَ عِندَ وُرُودِ

---

اللهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أترونَ هذِه هانت علَى أهلِها حينَ ألقوها قالوا من هوانِها ألقوها يا رسولَ اللهِ قالَ الدُّنيا أهونُ علَى اللهِ من هذِه علَى أهلِها»

(١) أخرجه الترمذي برقم ولفظه(٣٢٤٠)» لو كانتِ الدُّنيا تعدلُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربةَ ماءٍ « وقال « صحيح لغيره «

شَدَائِدِهَا وَبَلَايَاهَا وَدَوَاهِيهَا عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ الْحَادِثَ الَّذِي يَحْدُثُ فِيهَا يَهُونُ؛ لِأَنَّهُ قَلِيلُ الْبَقَاءِ سَرِيعُ الْفَنَاءِ، و﴿إِنَّ مَعَ الْعُسرِ يُسرا ٦﴾ [الشرح].

أَوْ لَا يَضِقْ صَدْرُكَ أَيُّهَا الْعَارِفُ مَحَلَّ صُدُورِ الْحَوَادِثِ؛ فَإِنَّ مَن عَلِمَ صُدُورَ الْحَادِثِ مِنْ إِلَهٍ حَكِيمٍ وَرَبٍّ لَطِيفٍ يَهُونُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى الْكَوَائِنَ كُلَّهَا صَادِرَةً مِن مَحْبُوبِهِ، مَوْصُوفَةً بِالْعَدْلِ، وَمُشْتَمِلَةً عَلَى الْحِكَمِ الدَّالَّةِ عَلَى الْفَضْلِ، وَيَزْدَادُ بِهَا مَعْرِفَةً إِلَى مَعْرِفَةٍ، وَسُرُورًا إِلَى سُرُورٍ.

وَلِذَا الْعَالِمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ وَمَصَادِرِهَا وَاشْتِمَالِهَا عَلَى مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْأَسْرَارِ مُسْتَرِيحٌ مُسْتَزِيدٌ، وَالْجَاهِلُ بِهَا مُعَذَّبٌ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ.

«**اَللهُ الْمُقَدِّرُ، وَالْعَالَمُ شُؤُون**»: كَانَ اللهُ تَعَالَى وَلَمْ يَكُن مَعَهُ شَيْءٌ، وَقَدْ أَعْطَى بِحِكْمَتِهِ كُلَّ مَاهِيَّةٍ مِنَ الْمَاهِيَّاتِ اسْتِعْدَادًا لِمَا يَفِيضُ عَلَيْهَا مِن مَظَاهِرِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَعَلِمَهَا كَذَلِكَ، وَأَرَادَ فِيهَا ذَلِكَ، وَقَدَّرَ لَهَا مَقَادِيرَ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنقُصُ.

وَكَانَتِ الْمَاهِيَّاتُ مُفْتَقِرَةً قَبْلَ وُجُودِهَا إِلَى أَن يُفَاضَ عَلَيْهَا مَا هِيَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ، وَإِلَيْهِ يُشِيرُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الغَنِيُّ وَأَنتُمُ الفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، فَإِنَّ غِنَاهُ تَعَالَى عَمَّا عَدَاهُ أَبَدِيٌّ، وَافْتِقَارُهُ إِلَيْهِ تَعَالَى دَائِمِيٌّ، وَاللهُ أَعْلَمُ، ثُمَّ أَوْجَدَهَا عَلَى طِبْقِ مَا سَبَقَ.

فَالْعَالَمُ بِأَسْرِهِ مَظَاهِرُ وَصْفِهِ الْأَسْنَى وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، فَمَن كُشِفَ

لَهُ عَمَّا أَشَرْنَا إِلَيْهِ يَكُونُ الْعَالَمُ بُسْتَانَ عِرْفَانِهِ، يَجْتَنِي مِنْهُ ثَمَرَاتِ عِرْفَانِهِ، وَيَزْدَادُ بِمَعْرِفَتِهِ مَعْرِفَةُ مُوجِدِهِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَقْصُودِهِ، وَيَعْرِفَ حَقِيقَةَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُ فِي قَوْلِهِ: «اَللهُ الْمُقَدِّرُ وَالْعَالَمُ شُؤُونٌ»، وَلَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَوَادِثِ.

## «لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُونُ»

أَيْ لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِن مُرَادَاتِكَ لَوْ أَصَابَكَ مِمَّا تَكْرَهُهُ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ، وَمَا قَدَّرَهُ وَعَلِمَهُ لَا بُدَّ أَن يُوجِدَهُ؛ لِئَلاَّ يَنقَلِبَ عِلْمُهُ جَهْلاً، وَمَا لَمْ يُقَدِّرْهُ وَلَمْ يَعْلَمْ وُجُودَهُ لَا يُوجَدُ قَطُّ.

«مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُن لِيُصِيبَكَ»[1]، فَالْهَمُّ عَبَثٌ وَلَغْوٌ مُنَافٍ لِاسْتِلاَمِ ذِي الْعُبُودِيَّةِ الصِّرْفَةِ لِمَن لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ.

وَمَا لِلْعَبِيدِ أَن لَا يَرْضَوْا بِتَصَرُّفِ الْمَلِكِ الْمَجِيدِ؟! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم حَرَجا مِّمَّا قَضَيتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسلِيما ٦٥﴾ [النساء].

فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُ قَضَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُوَ خَلِيفَتُهُ فِي أَرْضِهِ فَكَيْفَ شَأْنُ قَضَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي فَعَلَ فِي مُلْكِهِ مَا

---

(١) جزء من حديث ابن عباس _رضي الله عنهما_ أخرجه » «سنن أبي داود» برقم (٤٦٩٩).

يَشَاءُ؛ ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء]، فَتَنَبَّهْ مِن سِنَةِ الْغَفْلَةِ إِن كُنتَ ذَا فِطْنَةٍ.

وَلَا يَفْهَمُ سِرَّ هَذِهِ الْحِكَايَةِ إِلَّا مَن كُشِفَ عَن قَلْبِهِ الْحِجَابُ، وَتَجَلَّى لَهُ تَصَرُّفُ رَبِّ الْأَرْبَابِ فِي الْمُسَبَّبَاتِ وَالْأَسْبَابِ، مَعَ مُرَاعَاةِ كَمَالِ الْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ، وَأَنَّى لِلْمَحْجُوبِ مَعْرِفَةُ هَذَا الْمَطْلُوبِ؟!

«فِكْـرُكَ وَاخْتِيَـارُكَ دَعْهُـمَا وَرَاك وَالتَّدْبِيرَ أَيْضًـا وَاشْـهَدْ مَـن يَـرَاك»

«**فِكْرُكَ وَاخْتِيَارُكَ دَعْهُمَا وَرَاك**»: أَي: اتْرُكْ فِكْرَكَ الْفَاتِرَ وَاخْتِيَارَكَ الْعَبِثَ وَرَاءَ ظَهْرِكَ، فَلَا تَنظُرْ إِلَيْهِمَا، وَاجْعَلْهُمَا نَسْيًا مَنسِيًّا.

«**وَالتَّدْبِيرَ أَيْضًا، وَاشْهَدْ مَن يَرَاك**»: أَي: اتْرُكِ التَّدْبِيرَ فِي تَحْصِيلِ مُرَادَاتِكَ وَدَفْعِ مَضَرَّاتِكَ أَيْضًا، فَإِنَّ ذَلِكَ عَبَثٌ وَلَغْوٌ، بَلْ مُنَازَعَةٌ مَعَ مَنْ هُوَ الْمُنفَرِدُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَلَوِ اجْتَمَعَتِ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا عَلَى أَن يَفْعَلُوا مَا لَمْ يُرِدِ اللهُ تَعَالَى - لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ أَبَدًا، أَوْ عَلَى أَن يَدْفَعُوا مَا شَاءَهُ مَا قَدِرُوا قَطّ، فَمَا هَذَا الْاشْتِغَالُ الْعَبَثُ الَّذِي لَا يَنفَعُ قَطُّ؟! بَلْ فِيهِ تَضْيِيعُ الْعُمْرِ -الَّذِي هُوَ رَأْسُ مَالِ الْعَبْدِ- فِيمَا لَا يَعْنِي، وَمُنَازَعَةٌ مَعَ مَن لَا يَنبَغِي الْمُنَازَعَةُ مَعَهُ.

وَإِنَّمَا يُسَلِّمُ أَمْرَهُ تَسْلِيمًا، فَمَن تَوَكَّلَ عَلَى مَوْلَاهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا بِمُنَاهُ، وَمَن لَمْ يَعْتَمِدْ عَلَيْهِ وَعَارَضَهُ فِي مُرَادِهِ؛ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا.

وَأَنَّى لِلْعَبْدِ الذَّلِيلِ الْعَاجِزِ الْمَخْلُوقِ أَن يَكُونَ لَهُ فِكْرٌ أَوِ اخْتِيَارٌ أَوْ تَدْبِيرٌ مَعَ رَبِّهِ الْجَلِيلِ الْقَادِرِ الْقَهَّارِ؟! فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا مِن جَهْلِهِ بِرَبِّهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ رَبَّكَ الَّذِي أَوْجَدَكَ وَلَمْ تَكُن شَيْئًا مَذْكُورًا، شَاهِدٌ عَلَيْكَ، حَاضِرٌ لَدَيْكَ، مُدَبِّرٌ لِأُمُورِكَ، كَافٍ لِحَوَائِجِكَ؛ ﴿أَلَيسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، بَلَى إِنَّهُ كَافٍ، إِلَّا إِنَّ الْعَبْدَ لِجَهْلِهِ بِرَبِّهِ يَتِيهُ فِي أَقْفَارِ الْأَسْبَابِ، مَحْجُوبًا عَن رَبِّ الْأَرْبَابِ، فَلَوْ شَاهَدَهُ لَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، ﴿وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسبُهُ﴾ [الطلاق:٣].

«مَـوْلَاكَ الْمُهَيْمِـنُ إِنَّـهُ يَـرَاك فَـوِّضْ لَـه أُمْرَكْ واحْسِـنْ فِي الظُّنُونْ»

«مَوْلَاكَ الْمُهَيْمِنُ إِنَّهُ يَرَاك»: أَي: الَّذِي أَوْجَدَكَ مِنَ الْعَدَمِ هُوَ مَوْلَاكَ الْمُرَاقِبُ عَلَيْكَ؛ إِذْ يَرَى ظَاهِرَكَ وَبَاطِنَكَ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِكَ؛ ﴿أَلَا يَعلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك].

فَمَن كَانَ كَذَلِكَ يَكُونُ كَافِيًا لِمَا أَوْجَدَهُ مِنَ الْعَدَمِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ سَوَابِغَ النِّعَمِ، وَحَفِظَهُ مِنْ أَنْوَاعِ النِّقَمِ، أَلَا يَسْتَحْيِي الْعَبْدُ الْقَاصِرُ أَن يَكُونَ لَهُ اخْتِيَارٌ مَعَ سَيِّدِهِ الْقَهَّارِ الْقَادِرِ؟! فَتَاللهِ لَوْ شَاهَدَهُ لَسَلَّمَ لَهُ أَمْرَهُ.

«فَوِّضْ لَهُ أُمْرَكَ وَأَحْسِن فِي الظُّنُون»: أَيْ فَوِّضْ أُمُورَكَ كُلَّهَا إِلَى مَوْلَاكَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِالْوُجُودِ فَإِنَّهَا كُلُّهَا بِيَدِهِ، هُوَ مَصْدَرُهَا، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُهَا، وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ مِنْهَا شَيْءٌ، هَلْ مَعَ اللهِ شَرِيكٌ آخِر؟! فَمَن فَوَّضَ

أَمْرَهُ لِمَوْلَاهُ اسْتَرَاحَ عَمَّا عَدَاهُ.

وَكُنْ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى فِي قَضَاءِ حَوَائِجِكَ، فَإِنَّهُ عِندَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ، وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الْكَرِيمُ الْجَوَادُ الْوَهَّابُ، يُجِيبُ دَعْوَةَ الْمُضطَرِّينَ وَيَقْضِي حَوَائِجَ الْمُحْتَاجِينَ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ؟!

وَمَن لَمْ يَتَوَكَّلْ عَلَى هَذَا الرَّبِّ اللَّطِيفِ، وَلَمْ يُفَوِّضْ أَمْرَهُ إِلَى هَذَا الْكَفِيلِ، وَلَمْ يُحَسِّنِ الظَّنَّ بِهَذَا الْغَنِيِّ الْأَرْحَمِ، فَهُوَ مِنَ الْهَالِكِينَ، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة].

وَكَيْفَ لَا يَتَوَكَّلُ عَلَى مَن بِيَدِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا، وَهُوَ أَكْرَمُ مِن كُلِّ كَرِيمٍ؟! فَلَوْ شَاهَدَ الْمَحْجُوبُونَ لُطْفَ اللَّطِيفِ بِخَلْقِهِ الضَّعِيفِ لَمَّا اعْتَمَدُوا إِلَّا عَلَيْهِ وَلَمْ يَلْتَجِئُوا إِلَّا إِلَيْهِ.

**«لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُونُ»**

فَإِنَّهُ لَا مَرَدَّ لِمَا قَدَّرَ وَقَضَى، بَلْ يَجِبُ أَن يُقَابَلَ مَقْدُورُهُ بِأَعْظَمِ الرِّضَى، وَكَيْفَ لَا وَمُقَدِّرُهُ هُوَ الْحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَصَنَائِعِهِ، لَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا مَا فِيهِ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ؟! وَلَا يَعْرِفُ سِرَّ هَذَا إِلَّا مَن شُرِحَ صَدْرُهُ بِالْإِيمَانِ.

**«"لَوْ" وَ"لِمَ" وَ"كَيْفَ" قَوْلُ ذِي الْحُمْقِ ... يَعْتَرِضُ عَلَى اللهِ الَّذِي خَلَقَ وَقَضَى وَقَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ بِحَقّ ... يَا قَلْبِي تَنَبَّهْ وَاتْرُكِ الْمُجُون»**

«**"لَوْ" وَ"لِمَ" وَ"كَيْفَ" قَوْلُ ذِي الْحُمْقِ**»: أَيِ التَّلَفُّظُ بِـ"لَوْ" عِندَ فَوَاتِ

شَيْءٍ مَحْبُوبٍ، بِأَن تَقُولَ: «لَوْ فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا»، وَبِـ«لِمَ» عِندَ وُصُولِ مَكْرُوهٍ، بِأَن تَقُولَ: «لِمَ أَصَابَنِي هَذَا؟»، وَبِـ«كَيْفَ» عِندَ التَّحَيُّرِ وَالتَّأَسِّي، بِأَن تَقُولَ: «كَيْفَ فَاتَنِي هَذَا الْمُرَادُ وَأَصَابَنِي هَذَا الْمَكْرُوهُ»، فَهُوَ قَوْلُ مَن لَا يَعْرِفُ اللهَ الَّذِي هُوَ عَلِيمٌ بِخِلْقَتِهِ، حَكِيمٌ فِي صُنْعَتِهِ، لَا يُسْأَلُ عَنْ إِنفَاذِ مَشِيئَتِهِ.

«**يَعْتَرِضُ عَلَى اللهِ الَّذِي خَلَقَ، وَقَضَى وَقَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ بِحَقٍّ**»: أَيْ لَازِمُ قَوْلِهِ ذَلِكَ الَّذِي صَدَرَ مِنْ حَمَاقَتِهِ الْاعْتِرَاضِ عَلَى اللهِ الْحَكِيمِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ، الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَقَضَى كُلَّ شَيْءٍ، وَقَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ مُلْتَبِسًا بِحَقٍّ وَحِكْمَةٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَكِيمَ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا مَا فِيهِ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَادِثَ إِمَّا الْعَطَايَا وَإِمَّا الْبَلَايَا، وَإِمَّا الطَّاعَاتِ وَإِمَّا الْخَطَايَا، وَإِمَّا الْمَحْبُوبَاتِ وَإِمَّا الْمَكْرُوهَاتِ، وَإِمَّا أَمْثَالُهَا، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ حِكَمٌ بَاهِرَةٌ وَأَسْرَارٌ ظَاهِرَةٌ؛ لِأَنَّ الْعَطَايَا مَظْهَرُ جَمَالِهِ وَمُوجِبَاتُ مَحَبَّتِهِ تَعَالَى، وَالْبَلَايَا مَظْهَرُ جَلَالِهِ وَمُعَرِّفَاتُ قَهْرِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، وَمُطَهِّرَةٌ مِنْ أَوْسَاخِ الذُّنُوبِ، وَمُنَفِّرَةٌ عَنِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَمُلْجِئَةٌ إِلَى التَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْ مَن لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ.

وَالطَّاعَاتُ مَظْهَرُ رَحْمَتِهِ وَمُوجِبَاتُ قُرْبِهِ، وَالْخَطَايَا مَظْهَرُ قَهْرِهِ، وَكَم مِنْ خَطِيئَةٍ أَوْجَبَتْ مِنَ الْكَرَامَةِ مَا لَمْ تُوجِبْهُ الطَّاعَةُ إِذَا تَرَتَّبَ عَلَيْهَا

النَّدَامَةُ وَالتَّوْبَةُ وَالْانكِسَارُ.

وَالْمَحْبُوبَاتُ مَظَاهِرُ فَضْلِهِ، وَبِهَا يَتَحَبَّبُ إِلَى عِبَادِهِ، وَالْمَكْرُوهَاتُ مَظْهَرُ عَدْلِهِ، وَبِهَا يُخَوِّفُ عِبَادَهُ مِن قَهْرِهِ وَغَضَبِهِ، وَهَذَا تَلْوِيحٌ إِلَى مَا لَا يُعَدُّ مِنَ الْحِكَمِ.

فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ وَأَظْهَرَ بُرْهَانَهُ، فَلَوْ أَدَارَ الْعَاقِلُ جَوَاسِيسَ فِكْرِهِ فِي الَّذِي أَوْدَعَ اللهُ مِنَ الْحِكَمِ فِي خَلْقِهِ لَعَرَفَ أَنَّ هَذَا النِّظَامَ هُوَ النِّظَامُ الْأَحْسَنُ، لَا يُصَوِّرَ الْعَقْلُ أَجْمَلَ وَلَا أَكْمَلَ مِنْهُ وَإِن كَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا.

وَاعْلَمْ أَنَّ صُدُورَ الْحَوَادِثِ مِن مُحْدِثِهَا مَرْبُوطٌ بِالْحِكَمِ الْبَالِغَةِ، وَلَا يَنجَلِي هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي أَشَرْنَا إِلَيْهِ إِلَّا لِمَن طَهَّرَ قَلْبَهُ عَنِ الْحَوَاجِبِ، وَانكَشَفَ لَهُ تَصَرُّفُ ذِي الْمَوَاهِبِ.

وَأَنَّى لِلْعَبْدِ الْجَاهِلِ الذَّلِيلِ أَن يَعْتَرِضَ عَلَى اللهِ الْحَكِيمِ الْجَلِيلِ؟! وَمَا ذَاكَ إِلَّا مَنِ احْتِجَابِهِ عَن رَبِّهِ.

«**يَا قَلْبِي، تَنَبَّهْ وَاتْرُكِ الْمُجُون**»: أَيْ يَا قَلْبِي، كُن مُتَنَبِّهًا عَنْ هَذِهِ الْغَفْلَةِ الْقَبِيحَةِ الَّتِي تُوجِبُ الْاعْتِرَاضَ عَلَى رَبِّ الْأَرْبَابِ، وَاتْرُكِ الْمُجُونَ، وَهُوَ مَصْدَرُ مَجَنَ مُجُونًا، وَالْمَاجِنُ: مَن لَا يُبَالِي قَوْلًا وَفِعْلاً.

أَيِ اتْرُكْ فِعْلَ الْجَاهِلِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ، فَلِذَا يَقُولُ مَا يَقُولُ مِنَ

الْأَقْوَالِ الدَّالَّةِ عَلَى سَفَاهَتِهِ، وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ مِنَ الْأَفْعَالِ الدَّالَّةِ عَلَى حَمَاقَتِهِ.

وَاللاَّزِمُ عَلَى الْعَبْدِ أَن يَعْرِفَ حَقِيقَةَ الْعُبُودِيَّةِ وَحَقَّ ذِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَلَا يَفْعَلَ إِلَّا مَا يَلِيقُ لِصَاحِبِ الْعُبُودِيَّةِ أَن يَفْعَلَهُ، أَدَاءً لِحَقِّ صَاحِبِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيَحْتَرِزُ عَمَّا عَدَاهُ، وَلَا يَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي سَيِّدَهُ، وَمَعْرِفَةِ هَذَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ الْآدَابِ الَّتِي رَبَّى اللهُ بِهَا أَشْرَفَ خَلْقِهِ، وَالتَّأَدُّبُ بِهَا هُوَ أَدَاءُ ذِي الْعُبُودَيَّةِ حَقَّ ذِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

**«لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُونُ»**

فَإِن قَدَرَ اللهِ لَا يَدْفَعُهُ هُمُومُ الْعَاجِزِينَ، وَلَا يَمْنَعُهُ عَن وُقُوعِهِ أَوْهَامُ الْقَاصِرِينَ، فَإِنَّ أَسْوَارَ الْأَقْدَارِ لَا تَنخَرِقُ بِخَيَالَاتِ ذَوِي الْاضْطِرَارِ.

«قَدْ ضَمِنَ تَعَالَى بِالرِّزْقِ الْقَوَام  فِي الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ نُورًا لِلْأَنَام»

**«قَدْ ضَمِنَ تَعَالَى بِالرِّزْقِ الْقَوَام»**: أَيْ قَدْ ضَمِنَ اللهُ تَعَالَى -الَّذِي تَخَلُّفُ وَعْدِهِ مُحَالٌ، وَوُجُودُ مَوْعُودِهِ وَاجِبٌ- بِالرِّزْقِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ بِنْيَةُ الْخَلْقِ وَيَكْفِيهِ.

**«فِي الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ»** الَّذِي أَنزَلَهُ عَلَى أَشْرَفِ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ شَارِعًا لِطَرِيقِهِ، وَمُعْجِزَةً عَلَى صِدْقِهِ، **«نُورًا لِلْأَنَام»** أَخْرَجَ بِهِ مِن ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالشُّكُوكِ وَالظُّنُونِ وَالْمَعَاصِي إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ

وَالطَّاعَاتِ، هَدَى بِهِ قُلُوبًا غُلْفًا، وَأَسْمَاعًا صُمًّا، وَأَعْيُنًا عُمْيًا، ضِمْنَ ذَلِكَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزقُهَا وَيَعلَمُ مُستَقَرَّهَا وَمُستَودَعَهَا﴾ [هود: ٦].

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْوَعْدِ الْأَكِيدِ، هَلْ يُمْكِنُ تَخَلُّفُهُ عَمَّن لَا يَجُوزُ التَّخَلُّفُ فِي وَعْدِهِ أَبَدًا؟! كَمْ مِن آيَةً قُرْآنِيَّةً وَأَحَادِيثَ نَبَوِيَّةٍ نَادَتْ بِضَمَانِ اللهِ تَعَالَى بِرِزْقِ خَلْقِهِ، وَقَدْ دَلَّ الْعَقْلُ عَلَى صِدْقِهَا لَوْ صَادَفَتْ أَسْمَاعًا سَامِعَةً وَقُلُوبًا وَاعِيَةً.

عَجَبًا لِلْعَبْدِ الْجَهُولِ، لَا يَعْتَمِدُ عَلَى مَن مِنْهُ صُدُورُ الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ، وَثِيقٌ بِوَعْدِ مَن لَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، سُبْحَانَ اللهِ مَا هَذَا الْحِجَاب؟!

«فَالرِّضَا فَرِيضَةٌ وَالسَّخَطُ حَرَام وَالْقُنُوعُ رَاحَةٌ وَالطَّمَعُ جُنُون»

«**فَالرِّضَا فَرِيضَةٌ وَالسَّخَطُ حَرَام**»: أَيْ فَالرِّضَا بِكُلِّ مَا يَصْدُرُ مِنَ الْحَكِيمِ -مِنْ حَيْثُ هُوَ صَنْعُهُ وَمَظْهَرُ حِكْمَتِهِ- لَازِمٌ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الرِّضَا بِالْكَوَائِنِ لَازِمٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّ صُدُورَهَا مِنَ اللهِ الْحَكِيمِ، ثُمَّ مِنْهَا مَا أَحَبَّهَا بَارِئُهَا فَيَجِبُ عَلَيْنَا حُبُّهَا اتِّبَاعًا لِحُبِّهِ إِيَّاهَا، وَمِنْهَا مَا كَرِهَهَا خَالِقُهَا فَيَلْزَمُ عَلَيْنَا كَرَاهَتُهَا وَبُغْضُهَا لِأَجْلِ أَنَّهَا كَرِهَهَا رُبَّهَا، وَالْحُبُّ للهِ وَالْبُغْضُ للهِ مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الْإِيمَانِ.

وَحَقِّقِ الْمَرَامَ فِي هَذَا الْمَقَامِ، فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا تَزْلِقُ فِيهِ الْأَقْدَامُ، فَالرِّضَا بِمَا

قَدَّرَ وَقَسَمَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ فَرْضٌ، وَالسَّخَطُ بِهِ حَرَامٌ، وَأَنَّى لِلْعَبْدِ الْحَقِيرِ أَن يَسْخَطَ بِقِسْمَةِ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ؟! وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا مِن انطِمَاسِ الْبَصِيرَةِ.

«**وَالْقُنُوعُ رَاحَةٌ وَالطَّمَعُ جُنُون**»: أَي: الْقَنَاعَةُ بِمَا قَسَمَ الْمَوْلَى بِحِكْمَتِهِ فِي خِلْقَتِهِ رَاحَةٌ عَظِيمَةٌ عَن تَعَبِ الظُّنُونِ الْفَاسِدَةِ، وَعَدَمُ الْقَنَاعَةِ بِهِ بَلِيَّةٌ وَنِقْمَةٌ، فَمَنْ عَلِمَ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ وَمَصْدَرَهَا وَمَرْجِعَهَا وَحُكْمَهَا فَهُوَ فِي جَنَّةٍ عَاجِلَةٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَمَن لَمْ يَعْلَمْهَا كَذَلِكَ وَسَعَى بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ فِي تَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ مِنْ غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَمَرَهُ السَّيِّدُ أَن يَطْلُبَهَا مِنْهُ فَهُوَ فِي نِقْمَةٍ عَاجِلَةٍ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الأَبرَارَ لَفِي نَعِيم ١٣ وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيم ١٤﴾ [الانفطار].

وَالطَّمَعُ فِي مَن لَا يَمْلِكُ ضَرَّ نَفْسِهِ وَلَا نَفْعَهَا -فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِ- جُنُونٌ وَخُرُوجٌ عَن قَانُونِ الْعَقْلِ؛ إِذِ الْعَاقِلُ: مَن يَعْقِلُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَمَصَادِرَهَا وَمَوَارِدَهَا، وَيَأْتِيهَا مِنْ أَبْوَابِهَا، وَالسَّفِيهِ: مَن يَجْهَلُهَا وَيَأْتِيهَا مِن ظُهُورِهَا.

تَأَمَّلْ يَا أَيُّهَا الْأَعْشَى هَذَا الَّذِي تَطْمَعُ فِيهِ هَلْ يَقْدِرُ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ أَوْ دَفْعِهِ بِدُونِ قُدْرَةِ الْقَادِرُ؟! كَلاَّ وَحَاشَا.

ثُمَّ الْمَطْمُوعُ خَسِيسٌ تَتَنَفَّرُ طِبَاعُ ذَوِي الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ قَالَ الْعَارِفُ الْأَكْبَرُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ

عِندَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى مِنْهَا كَافِرًا شَرْبَةَ مَاءٍ»، أَوْ كَمَا قَالَ، فَتَعَقَّلَ إِن كُنتَ ذَا عَقْلٍ، وَلَا تَطْمَعْ فِيمَا فِي يَدِ الْعَاجِزِ مِنَ الْأَمْتِعَةِ الْفَانِيَةِ الْمَبْغُوضَةِ.

«لَا تُكْثِرْ هَمّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُون»

فَلَوِ اجْتَمَعَتِ الْخَلَائِقُ عَلَى أَن يَنفَعُوكَ لَا يَنفَعُونَكَ إِلَّا بِمَا قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَن يَضُرُّوكَ لَا يَضُرُّونَكَ إِلَّا بِمَا قَدَّرَهُ، فَاقْطَعْ طَمَعَكَ عَنْهُمْ، وَآمِنْ خَوْفَهُمْ، وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ.

«أَنتَ وَالْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ عَبِيد ... وَالْإِلَهُ فِينَا يَفْعَلُ مَا يُرِيد»

«أَنتَ وَالْخَلَائِقِ كُلُّهُمْ عَبِيد» مُحْتَاجُونَ -فِي وُجُودِكُم وَبَقَائِكُمْ وَحُصُولِ مَصَالِحِكُمْ وَانتِفَاءِ مَا يُؤْذِيكُمْ- إِلَى مَنْ أَوْجَدَكُمْ مِنَ الْعَدَمِ وَأَفَاضَ عَلَيْكُمْ فَوَاضِلَ النِّعَمِ وَعَصَمَكُمْ مِن كَثِيرٍ مِنَ النِّقَمِ، لَيْسَ لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَإِنَّمَا الْأَمْرُ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

«وَالْإِلَهُ فِينَا يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ» بِقُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ، وَبِمَشِيئَتِهِ الْقَاهِرَةِ، وَبِحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وَأَنَّى لِلْعَبِيدِ أَن يَكُونَ لَهُمْ أَمْرٌ مَعَ الْمَلِكِ الْمَجِيدِ؟!

«هَمُّكَ وَاغْتِمَامُكَ وَيْحَكَ لَا يُفِيد الْقَضَا تَقَدَّمَ فَاغْنَمِ السُّكُون»

«هَمُّكَ وَاغْتِمَامُكَ» فِي تَحْصِيلِ مُرَادَاتِكَ، «وَيْحَكَ لَا يُفِيد»؛ هَلْ تَقْدِرُ

عَلَى أَن تَقْلِبَ مُرَادَ رَبِّكَ فَتَفْعَلَ مَا لَمْ يُرِدْهُ أَوْ تَدْفَعَ مَا أَرَادَهُ؟! كَلاَّ! فَلِمَ تُضَيِّعُ عُمُرَكَ فِي الْهُمُومِ الَّتِي لَا تُفِيدُ، وَتُعَارِضُ مَن لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ؟!

تَأَمَّلْ قُبْحَ حَالِكَ وَسُوءَ فِعَالِكَ إِن كُنتَ ذَا عَقْلٍ، بَلِ اللاَّزِمُ عَلَيْكَ أَن تُقَابِلَ أَمْرَ سَيِّدِكَ بِالرِّضَا وَالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ لِلرَّبِّ الْحَكِيمِ.

«**الْقَضَا**» بِالْكَوْنَيْنِ «**تَقَدَّمَ**» فِي الْأَزَلِ، فَإِنَّ الْحَكِيمَ الْعَلِيمَ قَدْ عَلِمَ وُجُودَ مَا يُوجَدُ وَعَدَمَ مَا يَكُونُ بَاقِيًا فِي عَدَمِهِ، وَقَدَّرَ لِكُلٍّ قَدَرًا لَا يَزِيدُ وَلَا يَنقُصُ.

«**فَاغْنَمِ السُّكُون**» لِأَمْرِ الرَّبِّ الْحَكِيمِ، فَإِنَّ السُّكُونَ لِأَمْرِهِ وَالتَّسْلِيمَ لَهُ سَبَبُ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ، وَالْاضْطِرَابُ وَالتَّحَرُّكُ فِي أَوْدِيَةِ الظُّنُونِ عَلاَمَةُ الْبُعْدِ وَالطَّرْدِ، فَالرَّبُّ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، سَوَاءً تُرِيدَ ذَلِكَ أَوْ لَا تُرِيدُ.

**«لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُونُ»**

«اَلَّـذِي لِغَـيْرِكَ لَا يَصِـلُ إِلَيْـكَ وَالَّـذِي قُسِـمَ لَـكَ حَاصِـلٌ لَدَيْـك»

«**اَلَّذِي لِغَيْرِكَ**» فِي عِلْمِ اللهِ وَتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ «**لَا يَصِلُ إِلَيْكَ**»؛ لِأَنَّ عِلْمَ اللهِ لَا يَنقَلِبُ جَهْلاً، وَتَقْدِيرُهُ لَا يُرَدُّ، فَاقْطَعْ طَمَعَكَ عَمَّا لَيْسَ لَكَ، وَلَا تَحْسِدْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللهِ عَلَى مَا أَعْطَاهُ سَيِّدُهُ بِحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ، فَإِنَّ لَازِمَ الْحَسَدِ الْاعْتِرَاضُ عَلَى اللهِ تَعَالَى فِي قِسْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ بِحِكْمَتِهِ، وَذَلِكَ جُرْمٌ جَسِيمٌ.

«**وَالَّذِي قُسِمَ لَكْ**» فِي عِلْمِ اللهِ وَقَضَائِهِ «**حَاصِلٌ لَدَيْك**» لَا مَحَالَةَ؛ لِأَنَّ مَا عَلِمَ اللهُ وُجُودَهُ فَوُجُودُهُ وَاجِبٌ وَعَدَمُهُ مُحَالٌ، وَمَا لَا يَعْلَمُ وُجُودَهُ فَوُجُودُهُ مُحَالٌ، فَاطْلُبْ ذَلِكَ الْمَقْسُومَ مِن مَوْلَاكَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَمَرَكَ أَن تَطْلُبَهُ مِنْهُ.

«فَاشْتَغِلْ بِرَبِّكَ وَالَّذِي عَلَيْك فِي فَرْضِ الْحَقِيقَةِ وَالشَّرْعِ الْمَصُون»

«**فَاشْتَغِلْ بِرَبِّكَ**» بِعِبَادَتِهِ وَلُزُومِ بَابِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَمَرَ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنهُم مِّن رِّزق- وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطعِمُونِ ٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات].

«**وَالَّذِي عَلَيْكَ**» مِنْ إِتْيَانِ مَا يُقَرِّبُكَ إِلَيْهِ وَاجْتِنَابِ مَا يُبَعِّدُكَ عَنْهُ «**فِي فَرْضِ الْحَقِيقَةِ وَالشَّرْعِ الْمَصُونِ**»: أَيِ الْمَحْفُوظِ مِنَ الْخَلَلِ.

**وَالشَّرِيعَةُ**: مَعْرِفَةُ آدَابِ الْعُبُودِيَّةِ لِذِي الرُّبُوبِيَّةِ، كَمَا شَرَحَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**وَالطَّرِيقَةُ**: سُلُوكُهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي سَلَكَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**وَالْحَقِيقَةُ**: مَعْرِفَةُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ، وَوَضْعُ كُلِّ مَوْضِعَهُ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ.

**وَالْمَعْرِفَةُ**: عِرْفَانُ ذَاتِ الرَّبِّ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي بَيَّنَهُ

مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكُلُّ يَدَّعِي حُصُولَ الطَّرِيقِ، وَالشَّأْنُ فِيمَن يُوَفَّقُ لِسُلُوكِهِ عَلَى مِنْهَاجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

«لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُونُ»

«شَرْعِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي الْبَشِير ... خَتْمِ الْأَنبِيَا الْبَدْرِ الْمُنِير»

«شَرْعِ الْمُصْطَفَى» عَلَى الْبَرَايَا بِأَجَلِّ الْمَزَايَا «الْهَادِي» إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مُوصِلٍ إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ، «الْبَشِير» لِمَن قَبِلَ هُدَاهُ، وَالنَّذِيرِ لِمَنْ عَادَاهُ.

«خَتْمِ الْأَنبِيَا» الْجَامِعِ لِكَمَالَاتِهِمُ الْمُتَفَرِّقَةِ وَفَضَائِلِهِمُ الْمُتَبَدِّدَةِ، «الْبَدْرِ الْمُنِير» الَّذِي أَذْهَبَ اللهُ بِهِ ظُلُمَاتِ السَّيِّئَاتِ وَأَظْهَرَ بِهِ نُورَ الطَّاعَاتِ.

«صَلَّى عَلَيْهِ الرَّبُّ الْقَدِير ... مَا رِيحُ الصَّبَا مَالَتْ بِالْغُصُون»

«صَلَّى عَلَيْهِ» صَلَاةً لَائِقَةً بِقَدْرِهِ الْعَالِي «الرَّبُّ الْقَدِيرُ» عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

«مَا رِيحُ الصَّبَا مَالَتْ بِالْغُصُون»: كِنَايَةٌ عَن دَوَامِ صَلَوَاتِ رَبِّ الْوُجُودَاتِ عَلَى سَيِّدِ الْكَائِنَاتِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ.

«لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ؛ مَا قُدِّرَ يَكُونُ»

وَفِي هَذَا الْخَتْمِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَنْ أَرَادَ لُزُومَ بَابِ الْمَوْلَى فَعَلَيْهِ أَن يَتَعَلَّقَ بِرِكَابِ الْمُصْطَفَى الَّذِي هُوَ وَسِيلَةُ اللهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى...

وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى حَبِيبِكَ الْمُرْتَضَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...

مُؤَلِّفُ هَذِهِ الْحُرُوفِ: مُحَمَّدْ حَيَاةُ السِّنْدِيُّ ثُمَّ الْمَدَنِيُّ، كَانَ اللهُ لَهُ فِي كُلِّ حِينٍ وَآنٍ، وَقَعَ الْفَرَاغُ مِن كِتَابَتِهِ يَوْمَ الْأَحَدِ مِن شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ١١٥٩ هـ.

# تَنبِيهُ الْحَقِّ فِي عِلْمِ الْفِرَقِ
# وَفَتْحُ الْمُتَعَالِي فِي وَقْتِ إِغْفَالِي
# شَرحُ قَصِيدَةِ
# «اِلْزَمْ بَابَ رَبِّكَ وَاتْرُكْ كُلَّ دُون»
# لِلسَيِّد العَارِفِ باللهِ عَبْدِ اللهِ بنْ عَلَوي الْحَدَّادِ الحَضْرَمِي (١١٣٢ هـ)

شَرَحَهَا السَّيِّدُ عَبْدُ اللهِ بْنُ السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمْ
المِيرْغِنِي

## المَورِدُ الهَنِيُ فِي تَرْجَمَةِ الشَّيخِ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِبْرَاهِيمْ المِيرْغِنِي

### اسمه ونسبه

السيد عبد الله بن ابراهيم بن حسن بن محمد امين بن علي بن حسن بن مير خرد، بن حيدر بن حسن بن عبد الله بن علي بن حسن بن احمد بن علي ابن ابراهيم بن يحيى بن عيسى بن ابي بكر بن علي بن محمد بن اسمعيل بن مير خرد البخاري بن عمر بن علي بن عثمان بن علي المتقي بن الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب الحسيني الحنفي المكي[١].

ولد الشيخ عبد الله بن ابراهيم بمكة وبها نشأ، واخذ عن مشايخ أجلاء، ثم انتقل الى الطائف بأهله وعياله سنة ست وستين.

### من مؤلفاته

١. البدر المنير، وهو في اربعة كراريس وقد شرحه العلامة محمد الجواهري.

٢. الجواهر اللمعة ي فضائل الجمعة

---

(١) ينظر: لؤلؤة الحسن الساطعة: ٣٩.

٣. الدرة اليتيمة في بعض فضائل السيدة العظيمة،

٤. عقد الجواهر في نظم المفاخر -ديوان شعري-

٥. العقد المنظم على حروف المعجم-ديوان شعري-.

٦. كتاب فرائض الدين وواجبات الاسلام، لعامة المؤمنين، وله عليه شرح سماه الفتح المبين.

٧. كنوز الحقائق.

٨. الكوكب الثاقب وشرحه شرحا سماه رفع الحاجب عن الكوكب الثاقب،

٩. مشارق الانوار في الصلاة والسلام على النبي المختار.

١٠. المعجم الوجيز في احاديث النبي العزيز ﷺ، اختصره من الجامع وذيله.

١١. مناقب سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه

١٢. النفحة العنبرية شرح اداب المعية

توفي -رضي الله عنه- سنة (١٢٠٧هـ) بالطائف بقرية السلامة بالمحل المشهور الذي بناه واعده لنفسه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَرْسَلَ لَنَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ بِالدِّينِ الْقَوِيمِ، وَأَخْلَفَهُ بِالصَّحْبِ الْعَظِيمِ، الَّذِي أَوْصَلُوا إِلَيْنَا كُلَّ خَيْرٍ جَسِيمٍ، وَأَخْلَفَهُمْ أَئِمَّةً بِهِمْ نَسْتَقِيمُ، وَرَحِمَنَا بِأَوْلِيَائِهِ ذَوِي الْقَدْرِ الْعَظِيمِ، الَّذِينَ أَرْشَدُونَا لِمَحَبَّةِ الرَّبِّ الرَّحِيمِ.

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى الذَّاتِ الْمُكَمَّلَةِ، وَعَلَى إِخْوَانِهِ الْأَنبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَجْمَعِينَ.

وَبَعْدُ:

فَهَذِهِ كَلِمَاتٍ عَلَى أَبْيَاتٍ لِمَوْلَانَا الْعَارِفِ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: السَّيِّدُ الْجَلِيلُ الْعَفِيفُ سَيِّدِي عَبْدُ اللهِ بَاعَلَوِيُّ الْحَدَّادِ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَمَدَّنَا بِمَدِدِهِ... آمِينَ، وَهِيَ فِي بَيَانِ السُّلُوكِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِجْمَالًا، وَهُوَ بِحَسَبِ مَرَاتِبِ السَّالِكِينَ، وَهُمْ ثَلَاثُ أَنْوَاعٍ:

مُبْتَدِئٌ، وَمُتَوَسِّطٌ، وَمُنتَهِي، وَسُلُوكُ كُلِّ أَحَدٍ بِحَسْبِهِ، وَلَا انقِطَاعَ لَهُ إِلَّا بِلِقَاءِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَمَا قَالَ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿وَاعبُد رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأتِيَكَ اليَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر]، وَهَذَا خِطَابٌ لِسَيِّدِي ذِي الْعِرْفَانِ،

وَمَنْ هُوَ قُطْبُ أَهْلِ هَذَا الشَانِ[١]، فَإِذَا فَهِمَ ذَلِكَ فَلاَ يَخْطُرُ بِالْبَالِ أَنَّ الْمُنتَهِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى السُّلُوكِ، بَلْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ فِي مُعَامَلَةِ مَلِكِ الْمُلُوكِ، وَلِذَا قَالَ سَيِّدِي الْعَارِفِ السَّمْنَانِي رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «وَمَن لَمْ يُحْسِنِ الْأَدَبَ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالدُّخُولِ فِي الْحَضَرَةِ الْعُظْمَى - لَا يَأْمَنُ الرُّجُوعَ إِلَى الْقَهْقَرِي، وَلَا يُمْكِنُهُ التَّمَتُّعُ بِطَهَارَةِ الْكُبْرَى»، وَقَالَ أَيْضًا: «وَلَا يَأْمَنُ السَّالِكُ عَنِ الرُّجُوعِ الْقَهْقَرِي فِي الْحَضَرَةِ الْعُظْمَى وَلَوْ حَصَلَتْ لَهُ الطَّهَارَةُ الْكُبْرَى، إِلَّا بِالْخَلَاصِ عَن سِجْنِ مَزْبَلَةِ الْبَدَنِ، الْمَجْعُولُ الْمُسْتَلْزَمُ لِحَدَثِ حُدُوثِ عَالَمِ الْكَوْنِ، وَالْفَسَادُ الْمُعْتَبَرُ عَنْهُ بِالدُّنْيَا، وَلِأَجَلِ هَذَا السِّرِّ أَمَرَ النَّبِيُّ الْأُمِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاعبُد رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأتِيَكَ اليَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر] أَيِ: الْمَوْتُ، إِلَّا خَيْرَ الْاضْطِرَارِ، وَقَدْ صَلَّى بَعْدَ نُزُولِ آيَةِ الْغُفْرَانِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَا أُنزِلَتْ فِي حَقِّكَ: ﴿لِّيَغفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَن-بِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾؟ [الفتح: ٢] قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»

فَالشُّكْرُ يُثْمِرُ بِمُزِيدِ الْمَعْرِفَةِ، وَمَن لَمْ يَشْكُرْ لَمْ يَشْكُرِ اللهُ فِي كُلِّ شَرْبَةٍ وَلُقْمَةٍ وَنَفَسٍ يَحْدُثُ لِلنُّورِ الَّذِي اكْتَسَبَهُ كُدُورٌ مِنَ الْكُدُورَاتِ اللَّازِمَةِ

(١) بالتسهيل للسجع.

لِلْحَدَثَانِ.

وَقَالَ أَيْضًا: «وَقَدْ أَيْقَنتَ أَنَّ مَن لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مُخَالَفَةَ النَّفْسِ وَالْهَوَى، وَلَمْ يَتَّقِ عَن صُحْبَةِ شَيَاطِينِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ، وَاسْتِمَاعِ كَلَامِهِمْ، وَمُطَالَعَةِ كُتُبِهِمْ - لَمْ يَسْتَحِقّ لِلتَّرْبِيَةِ وَالْإِرْشَادِ، وَلَا يَصِحُّ لَهُ دَعْوَى الشَّيْخِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِن وَرَثَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِن كَانَ صَاحِبَ التَّجَلِّيَّاتِ الصُّورِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ؛ لِأَنِّي شَاهَدْتُ بَعْضَ الْمَجْذُوبِينَ أَنَّهُمْ شَرَفُوا بِتَجَلِّيَّاتٍ، وَتُرِكُوا حَتَّى هَتَكُوا حُرْمَةَ الشَّرِيعَةِ.

فَعَلَيْكُمْ أَيُّهَا الطَّلَبَةُ بِالْإِعْرَاضِ عَن كُلِّ مَن لَيْسَ الصَّبْرُ وَالتَّقْوَى شِعَارُهُ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى مَن كَانَ مُؤْمِنًا بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، صَابِرًا عَلَى مُخَالَفَةِ النَّفْسِ وَالْهَوَى، مُتَّقِيًا عَن صُحْبَةِ شَيَاطِينِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ... » وَإِلَى آخِرِ مَا قَالَ، وَكَلَامُ جَمِيعِ الْعَارِفِينَ دَالٌّ عَلَى ذَلِكَ.

وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَرَاتِبَ ثَلَاثَةٌ - فَاعْلَمْ أَنَّ الْمُبْتَدِئَ وَالْمُتَوَسِّطَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَقَامِ الْمَعْرِفَةِ عَامِّيٌّ، وَلِهَذَا أَنزَلْتُ الْكَلَامَ عَلَى الْعَامِّيِّ وَالْعَارِفِ، أَوْ عَلَى الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ فِي التَّرَقِّي وَالتَّنَزُّلِ، فَافْهَمْ ذَلِكَ.

فَهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ، وَسَمَّيْتُهَا بِاسْمَيْنِ:

«تَنبِيهُ الْحَقِّ فِي عِلْمِ الْفِرَقِ»

و

«فَتْحُ الْمُتَعَالِي فِي وَقْتِ إِغْفَالِي»

لِأَنِّي جَمَعْتُهَا -وَاللهُ يَعْلَمُ بِحَالِي- وَإِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ بِحَبِيبِهِ أَن لَا يُؤَاخِذَنِي بِسُوءِ فِعَالِي.

قَالَ السَّيِّدُ الْجَلِيلُ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

«الْزَمْ بَابَ رَبِّكَ»

اِعْلَمْ أَنَّ السَّيِّدَ أَرَادَ بِـ«الْبَابِ»: حَبِيبَ الْأَحْبَابِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّهُ الْبَابُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ عِندَ ذَوِي الْأَلْبَابِ، وَأَمَرَ بِلُزُومِهِ؛ لِأَنَّهُ قَدِ انسَدَ بَابُ السُّلُوكِ إِلَى الْوُصُولِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا التَّوَجُّهِ إِلَى الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا قَالَهُ كَثِيرٌ مِن مُتَأَخِّرِ الْعَارِفِينَ؛ لِأَنَّهُ قَدِ انسَدَّ بَابُ السُّلُوكِ وَالتَّرْبِيَةِ مُنذُ ثَلَاثَ مِائَةِ عَامٍ وَأَكْثَر، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْإِفَادَةَ بِالْهِمَّةِ وَالْحَالِ.

كَمَا قَالَ سَيِّدِي الْعَارِفِ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشَّيْخِ أَحْمَد زَرُّوق[1]،

(١) أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بزرّوق ( الفقيه

عَن شَيْخِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْحَضْرَمِيِّ[١] رَحِمَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «وَصَاحِبُ الْإِفَادَةِ بِالْهِمَّةِ خَفِيٌّ فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَوَجَبَ اللُّزُومُ بِالْبَابِ الْجَلِيِّ، وَلِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شَأْنُهُ لَمْ يَأْمُرْ مَن فِي الْوُجُودِ بِشَيْءٍ إِلَّا لِيَكُونَ مِنْ أَهْلِ رَحْمَتِهِ، وَأَيْضًا قَصْدُ كُلِّ عَاقِلٍ أَن يَكُونَ مَرْحُومًا أَبَدًا، وَحُصُولُ الرَّحْمَةِ الْأَبَدِيَّةِ لَا يُكُونُ إِلَّا بِطَلَبِهَا أَبَدًا -حَالًا أَوْ مَقَالًا-، وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَابُ الرَّحْمَةِ لِلْوُجُودِ بِأَسْرِهِ، بَلْ عَيْنُ الرَّحْمَةِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرسَلنَٰكَ إِلَّا رَحمَةٗ لِّلعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، فَوَجَبَ لِلُّزُومِ لِجَنَابِهِ، وَالْاِعْتِكَافِ عَلَى بَابِهِ، وَالتَّمَلُّقِ بِسُوَيْدِ الْقُلُوبِ عَلَى أَعْتَابِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَحْبَابِهِ؛ لِأَنَّهُ الْمُنتِجُ لِمَحَبَّةِ اللهِ وَالْمُقَرَّبُ مِن جَنَابِهِ، وَذَلِكَ بِاتِّبَاعِهِ»[٢].

قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿قُل إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحبِبكُمُ اللَّهُ﴾

---

المالكي المعروف..صاحب الشروحات المعتمدة عند المالكية، توفي سنة (٨٩٩ هـ)

(١) ولد بحضرموت، وقدم مصر، فاستوطنها، وأخذ الطريقة، وتلقى أنوار الحقيقة عن شيخه ومربيه سيدي ومولاي الشريف أبو السيادات يحيى القادري، توفي رضي الله عنه بمصر، ودفن بالقرافة الشاذلية الكبرى سنة(٨٥٧هـ).

(٢) نقل ذلك أحمد بن عجيبة عن شيخه الحضرمي، قال «قال بعض مشايخنا رضي الله عنه ارتفعت التربية بالاصلاح في سنة (٨٢٤هـ) ولم تبق إلا الافادة بالهمة والحال» وقد تعقب ابن عجيبة هذه القول من وجوه :

الأول: أن الاستقراء لشيوخ التربية متعذر إذ الغالب عليهم الخفاء.

الثاني أن دائرة الأولياء والاقطاب لا تنقطع، ولا يصل الى القطبية الا عن تربية.

ينظر:الفتوحات الألهية: ٧٩-٨٠.

[آل عمران: ٣١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُستَقِيما فَاتَّبِعُوهُ- وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قَالَ الْجُنَيْدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**اَلصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ: هُوَ طَرِيقُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**».

وَقَالَ أَيْضًا: «**اَلطُّرُقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ، إِلَّا مَنِ اقْتَفَى أَثَرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»(١).

وَقَالَ أَيْضًا: «اِنسَدَّ كُلُّ بَابٍ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِلَّا بَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلاَ طَرِيقَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَّا مِن بَابِهِ - يَعْنِي: لَيْسَ لِأَحَدٍ إِلَّا أَن يَمْشِيَ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ تَابِعَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، حَتَّى يَصِلَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَلَوْلَا ذَلِكَ لَادَّعَتِ الْأَوْلِيَاءُ مَا ادَّعَتْهُ الْأَنبِيَاءُ».

وَقَالَ أَبُو حَمْزَةَ الْبَغْدَادِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**مَنْ عَلِمَ طَرِيقَ الْحَقِّ سَهَّلَ اللهُ عَلَيْهِ سُلُوكَهُ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَّا بِمُتَابَعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ**»(٢).

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْحِيرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**مَنْ أَمَّرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا**

---

(١) الاستقامة:٩٧.

(٢) هذا محفوظ من كلام الامام أحمد ينظر: مدارج ٤٨٦/٢، مفتاح دار السعادة١/١٦٥.

**وَفِعْلًا - نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ، وَمَنْ أَمَّرَ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ - نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]»**[(١)].

.وَكَلَامُ السَّادَةِ الْعَارِفِينَ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرٌ[(٢)]، وَرَحِمَ اللهُ مَن قَالَ مِنْهُمْ هَذَا الْبَيْت:

«وَأَنتَ بَابُ اللهِ، أَيُّ امْرِئٍ ... أَتَى مِنْ غَيْرِ بَابِكَ لَا يَدْخُلُ».

وَاعْلَمْ: أن نُزُولُ الْبَلَاءِ وَالْاِلْتِزَامُ عَلَى ثَلَاثِ أَضْرَابٍ:

**اَلْأَوَّلُ:** اَلْاتِّبَاعُ بِشَرِيعَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتِحْضَارُ خَيَالِهِ، وَالتَّشَوُّقُ إِلَيْهِ؛ لِحُصُولِ الْأَنْوَارِ - **وَهُوَ لِلْمُبْتَدِئْ.**

**اَلثَّانِي:** اَلتَّوَجُّهُ إِلَيْهِ فِي كَشْفِ الْمُعْضِلاَتِ وَأَخْذِ الْعُلُومِ اللَّدُنِّيَّاتِ -

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٨٠، وينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/ ٢١٠، وقطر الولي: ٢٥٢.

(٢) ومن ذلك: قال ابن المبارك -لا يظهر على أحد شيء من نور الإيمان إلا باتباع السنة ومجانبة البدعة « مدارج ٣/ ١٢٥.

قال النصر أبادي: -أصل هذا المذهب: ملازمة الكتاب والسنة ،وترك الأهواء والبدع، والإقتداء بالسلف وترك ما أحدث الآخرون والإقامة على م اسلكه الأولون « مدارج ٣/ ١٤٩.

قال ابن عثمان الحيري-:أسلم الطرق من الاغترار: طريق السلف ولزوم الشريعة -مدارج ٣/ ١٢٥.

قال ابن عطاء- من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه» مدارج السالكين ٢/ ٤٨٦.

**وَهُوَ لِلْمُتَوَسِّطِ.**

**اَلثَّالِثُ:** اَلتَّوَجُّهُ إِلَى قَلْبِهِ الشَّرِيفِ، وَسِرِّهِ الْمُنِيفِ؛ لِلاسْتِمْدَادِ مِن فُيُوضِ أَنْوَارِهِ الذَّاتِيَّةِ، وَالاِرْتِشَافِ مِن بُحُورِ أَسْرَارِهِ الإِلَهِيَّةِ؛ لِلْهِيَامِ فِي مَحَبَّةِ الْمَلِكِ الْعَلاَّمِ، عَلَى الاِسْتِمْرَارِ وَالدَّوَامِ - **وَهُوَ لِلْمُنتَهِي.**

**وَفَائِدَةُ اللُّزُومِ:**

الوُصُولُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالدُّخُولُ فِي جُمْلَةِ أَحْبَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالْقِيَامِ بِآدَابِهِمْ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَ عَنْ أَهْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ.

وَجُمْلَةُ الطَّرِيقِ -عَلَى مَا قَالَ بَعْضُهُمْ[1]- أَرْبَعُ أَشْيَاءٍ:

**إِحْدَاهَا:** فَرَاغُ الْقَلْبِ عَنِ الْمَيْلِ إِلَى مَا سِوَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

**اَلثَّانِي:** اَلإِقْبَالُ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْكُلِّيَّةِ، بِالْصِدْق وَالْمَحَبَّةِ، الْمُنَزَّهَةِ عَنِ الْعِلَلِ، مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ، وَلَا الْتِفَاتٍ، وَلَا مَلَلٍ، وَلَا طَلَبِ عِوَضٍ.

**اَلثَّالِثُ:** دَوَامُ الْمُخَالَفَةِ لِلنَّفْسِ فِي كُلِّ مَا تَطْلُبُهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ

---

(١) وهو العارف بالله الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان القادري المدني المتوفى سنة(١١٨٩هـ).

بِمَصَالِحِهَا، دُنْيًا وَأُخْرَى، وَأَعْظَمُ الْمُخَالَفَاتِ لِلنَّفْسِ: تَرْكُ مَا سِوَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، خَطَرًا وَاعْتِقَادًا وَعِلْمًا.

**اَلرَّابِعُ**: دَوَامُ الذِّكْرِ لِلهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالنَّظَرِ إِلَى جَلَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَجَمَالِهِ، سَوَاءً كَانَ ذِكْرَ اللِّسَانِ أَوْ القَلْبِ أَوْ الرُّوحِ، أَوْ ذِكْرَ السِّرِّ، أَوْ ذِكْرَ الْجُمْلَةِ[1].

**(فَائِدَةٌ)**: قَالَ الْعَارِفُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَيِّدِي مُحْيِي الدِّينِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ: «**اَلسَّائِرُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِعَزَائِمِ الْأُمُورِ الْمَشْرُوعَةِ عَلَى قِسْمَيْنِ:**

**طَائِفَةٌ رَبَطَتْ هِمَّتَهَا عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا جَاءَ مُنَبِّهًا وَمُعَلِّمًا لِلطَّرِيقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى جَنَابِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِذَا أُعْطِيَ الْمُعَلَّمُ ذَلِكَ زَالَ مِنَ الطَّرِيقِ، وَخُلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فَهَؤُلَاءِ إِذَا سَارَعُوا وَسَابَقُوا إِلَى الْخَيْرَاتِ لَمْ يَرَوْا أَمَامَهُمْ قَدَمَ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ أَزَالُوهُ مِن نُفُوسِهِمْ، وَانفَرَدُوا إِلَى الْحَقِّ.**

**وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى: جَعَلُوا فِي نُفُوسِهِمْ أَنَّهُمْ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ**

---

(١) من رسالته في التوجه لروحي ذكر نصها النبهاني في جواهر البحار في فضائل النبي المختار ٤/ ١٧٤.

(٢) في شرح الصلاة المشيشية للمصنف السيد عبد الله الميرغني: ٢١٩ (وخلة) وهو تصحيف.

وَتَعَالَى إِلّا وَالرَّسُولُ هُوَ الْحَاجِبُ، فَلَا يَشْهَدُونَ أَمْرًا إِلّا وَقَدَمُ الرَّسُولِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، هَكَذَا...

ثُمّ قَالَ: وَالْحَالَةُ الْأُولَى هِيَ حَالَةُ سَيِّدِي عَبْدَ الْقَادِرِ، وَأَبِا السُّعُودِ ابْنَ سنْلٍ وَرَابِعَةَ الْعَدَوِيّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَمَن جْرِي مَجْرَاهُمْ... »[1] اِنتَهَى.

وَقَالَ بَعْضٌ مِنَ النَّاسِ: «وَظَاهِرُ الْكَلَامِ يُشْعِرُ بِأَنَّ الْحَالَةَ الْأُولَى أَرْقَى مِنَ الثَّانِيَةِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الثَّانِيَةَ أَرْقَى وَأَكْمَلَ الْوُجُوهِ»[2].

أَمَّا أَوَّلًا: فَإِنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْمُشَاهَدَةِ وَالْمُعَامَلَةِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا لِأَفْرَادِ الْعَارِفِينَ، وَمَن جَعَلَهُ فِي مُشَاهَدَتِهِ فَإِنَّمَا قَصْدُهُ مِن ذَلِكَ اسْتِمْرَارُ شُكْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّهُ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ، وَلَا يَحْجُبُهُ عَنْهُ فِي الْحَقِيقَةِ ذَلِكَ عَنِ الْمُشَاهَدَةِ؛ لِأَنَّ الشُّكْرَ مُوجِبُ الزِّيَادَةِ لَا النَّقْصِ.

وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي الْعَبَاسِ السَّيَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا الْتَذَّ عَاقِلٌ بِمُشَاهَدَةِ

---

(١) ينظر: شرح الصلاة المشيشية للمصنف السيد عبد الله الميرغني: ٢١٩-٢٢٠، ضمن رياض الرقائق.

(٢) قال المصنف في شرح الصلاة المشيشية: ٢٢٠ « ثم هذا القول من ابن العربي الأليق حمله علي اضطراب الحال وبحسب ما منح من الفيض والنوال قبل شهودي عالي درجات الكمال فلا يلزم منه أن يكون الشيخ عبد القادر وغيره ممن ذكر هذا طريقة إلا على فهمه إذ لا يمكن أن الشيخ ممن أختلف حاله بل هو يقين عند من ظهر له كماله»

**قَطُّ؛ لِأَنَّ مُشَاهَدَةَ الْحَقِّ فَنَاءٌ لَا لَذَّةَ فِيهَا»**[١].

وَذَلِكَ إِشَارَةٌ أَعْظَمِ مَقَامِ الْمُشَاهَدَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا ثَانِيًا:** فَإِنَّمَا هُوَ شَرْطُ ذَلِكَ؛ لِلاسْتِمْدَادِ مِن فَيْضِهِ النَّازِلِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا لِمَن جَعَلَهُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ.

**وَأَمَّا ثَالِثًا:** فَلأَنَّ شُهُودَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْمُشَاهَدَةِ لَا يَتَحَمَّلُهُ إِلَا مَن لَا يُدْرِكُ تَمَكُّنَهُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ قَالُوا: «**كُلَّمَا ازْدَادَ الْوَلِيُّ مَعْرِفَةً بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَكَنَ وَثَبَتَ**»؛ لِوُجُودِهِ عَن ذِكْرِهِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنسَاهُ، وَكُلَّمَا ازْدَادَ مَعْرِفَةً بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اضْطَرَبَ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ؛ لِمَا يَنكَشِفُ لَهُ مِنَ التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ الْحَقِيقِيِّ، الَّذِي لَا يُحْمَلُ مِنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، وَيُوَضِّحُ ذَلِكَ قِصَّةُ الشَّابِّ الَّذِي ثَبَتَ عِندَ رُؤْيَةِ مَوْلَاهُ، وَمَاتَ عِندَ رُؤْيَةِ أَبِي يَزِيدٍ[٢] رَحِمَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[٣].

---

(١) وتمام قوله ((ما التذ عاقل بمشاهدة قط؛ لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيه لذة ولا التذاذ، ولا حظ ولا احتظاظ))، طبقات الصوفية ١/ ١٢٠.

(٢) وهو أبو يزيد البسطامي طيفور بن عيسى سُلْطَانُ العَارِفِيْنْ، بهذه وصفه الذهبي وقال « وَجَاءَ عَنْهُ أَشْيَاء مُشْكِلَةٌ لاَ مَسَاغَ لَهَا، الشَّأْنُ فِي ثُبُوْتِهَا عَنْهُ، أَوْ أَنَّهُ قَالَهَا فِي حَالِ الدَّهْشَةِ وَالسُّكْرِ_ الشوق والوله بالله تعالى _، وَالغَيْبَةِ وَالمَحْوِ، فَيُطْوَى، وَلاَ يُحْتَجُّ بِهَا « توفي سنة(٢٦١هـ)، ينظر في ترجمته: وفيات الاعيان ٢/ ٤٣٦، سير اعلام النبلاء ٨/ ٣٨٢، الوافي للصفدي ١٦/ ٢٩٥.

(٣) ذكر القصة ابن العربي وأوردها الزرقاني في شرحه على المواهب

**وَأَمَّا رَابِعًا:** فَلأَنَّ الْمَدَدَ الْحَاصِلَ بِصُحْبَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُدْرِكُهُ أَحَدٌ بِهِمَّتِهِ، أَلَا تَرَى مَا قَالُوهُ فِي الْأُسْتَاذِ مَعَ الْمُرِيدِ.

**وَأَمَّا خَامِسًا:** فَلأَنَّهُمْ إِنَّمَا جَعَلُوا ذَلِكَ أَخْذَ الشَّيْءِ مِن مَعْدَنِهِ؛ لِأَنَّهُ اسْتَلَمَ الْإِمْدَادَ مِن فَيْضِهِ الْقَطْعِيِّ.

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْعَارِفِ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَيِّدِي عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ مَشِّيشٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فِي صَلَاتِهِ الْمَعْرُوفَةِ: «**وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ حَيَاةَ رُوحِي، وَرُوحَهُ سِرَّ حَقِيقَتِي، وَحَقِيقَتَهُ جَامِعَ عَوَالِمِي وَعَوَالِمَهُ، وَإِذَا ذَهَبَ الْعَيْنُ مِنَ الْبَيْنِ - هَلْ يَبْقَى إِلَّا فَيْضُ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ؟! الَّذِي خُصَّ بِهِ مِنَ الثَّقَلَيْنِ، وَلَا تَنكَشِفُ حَقِيقَتُهُ هَذَا إِلَّا لِمَنْ عَامَ الْبَحْرَيْنِ، وَهَامَ مِن كَلَامِ الْمَشْرَبَيْنِ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْأَدَبَ فِي الْحَالَتَيْنِ...**»[1].

---

اللدنية ١٢/ ٦٠، وقد علل ذلك أبو يزيد البسطامي فقال:» إن الحق سبحانه كان يتجلى له على قدر مقامه، فلما رأني تجلى له على قدر ما رأى، والتجلي رتبة من المعرفة ليست مدركة بالبصر».

(١) كما في الصلاة المعروفة بالمشيشية « الصَّلاةُ المِشِّيشِيَّةُ «اللهمَّ صلِّ على منْ منهُ انشقتِ الأسرارُ، وانفلقتِ الأنوارُ، وفيهِ ارتقتِ الحقائقُ، وتنزلتْ علومُ آدمَ عليهِ السلامُ فأعجزَ الخلائقَ، ولهُ تضاءلتِ الفهومُ فلمْ يدركهُ منا سابقٌ ولا لاحقٌ، فرياضُ الملكوتِ بزهرِ جمالهِ مونقةٌ، وحياضُ الجبروتِ بفيضِ أنوارهِ متدفقةٌ ولا شيءَ إلا وهو بهِ منوطٌ، إذْ لولا الواسطةُ لذهبَ -كما قيلَ- الموسوطُ، صلاةً تليقُ بكَ منكَ إليهِ كما هو أهلهُ . اللهمَّ إنهُ سِرُّكَ الجامعُ الدالُّ عليكَ، وحجابكَ الأعظمُ القائمُ لكَ بينَ يديكَ . اللهمَّ ألحقني بنسبهِ وحققني بحسبهِ، وعَرِّفْنِي إياهُ معرفةً

وَقُلْتُ مُنشِدًا بِلِسَانِ حَالِ الْقَوْلِ الْأَخِيرِ -وَنَسْأَلُهُ الْقَبُولَ-:

أَأَقْنَعُ بِالْبُرُوقِ وَأَنتَ رُوحِي ... وَأُحْيَى بِالْوِصَالِ وَأَنتَ ذَاكَا

وَمَقْصُودِي مِنَ الدُّنْيَا هِيَامٌ ... وَبَذْلُ الرُّوحْ أُمْلَكُ فِي جِمَاكَا

فَإِنَّ جِمَاكَ يَا مَوْلَايَ هَذَا ... حِمَى مَوْلَاكَ حَقًّا لَا انفِكَاكَا

وَلَوْ لِي قُدْرَةٌ لَأَذَبْتَ قَلْبِي ... إِذَا هُوَ قَدْ رَأَى أَحَدًا سِوَاكَا

وَأَعْطَاكَ الْمُظَاهِرُ وَالتَّجَلِّي ... وَخَصَّكَ بِالْمَحَبَّةِ وَاجْتَبَاكَا[1]

---

أسلمُ بها منْ مواردِ الجهلِ، وأكرعُ بها منْ مواردِ الفضلِ، واحملني على سبيلِهِ إلى حضرتِكَ حملاً محفوفاً بنصرتِكَ واقذفْ بي على الباطلِ فأدمغَهُ، وزُجَّ بي في بحارِ الأحديةِ وانشلني منْ أوحالِ التوحيدِ، وأغرقني في عينِ بحرِ الوحدةِ حتى لا أرى ولا أسمعَ ولا أجدَ ولا أحسَّ إلا بها . واجعلِ الحجابَ الأعظمَ حياةَ روحي، وروحهُ سِرَّ حقيقتي وحقيقتهُ جامعَ عوالمي بتحقيقِ الحقِّ الأولِ ( يا أولُ يا آخرُ يا ظاهرُ يا باطنُ) ( ثلاثاً ) اسمعْ ندائي بما سمعتَ بهِ نداءَ عبدكَ زكرياءُ عليهِ السلامُ، (وانصرني بكَ لكَ وأيدني بكَ لكَ، واجمعْ بيني وبينكَ وحُلْ بيني وبينَ غيركَ) (ثلاثاً)، اللهُ، اللهُ، اللهُ» ( إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) «ربنا آتنا منْ لدنكَ رحمةً وهيئْ لنا منْ أمرنا رشداً» (ثلاثَ مراتٍ) (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيه الذين آمنوا صلو عليه وسلموا تسليما) «لبيك» اللهم صل على سيدنا محمد بقدر حبك فيه وزدني يا مولاي حباً فيه بجاهه عندك فرج عني ما أنا فيه، إلهي لا أسألك رد القضاء بل أسألك اللطف فيه وعلى آله وصحبه وسلم» يراجع شرح المصنف عليها ضمن مجموع رياض الرقائق.

(١) ينظر شرح الصلاة المشيشية: ٢٢٠.

وَهَذِهِ الْفَوَائِدُ إِنَّمَا ذَكَرْتُهَا حَثًّا عَلَى اللُّزُومِ لِجَنَابِهِ، وَلِعُلُومِ الْمَقَامِ الْحَاصِلِ بِتَقْبِيلِ أَعْتَابِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَحْبَابِهِ.

وَإِذَا لَزِمْتَ الْبَابَ الْمُفَسَّرَ بِحَبِيبِ الْأَحْبَابِ - فَاثْبُتْ عَلَى ذَلِكَ، وَتَوَجَّهْ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «**وَاتْرُكْ كُلَّ دُونٍ**»: أَيْ: كُلَّ مَا سِوَاهُ فِي تَرَقِّيكَ، قَالَ سَيِّدِي ابْنِ عَطَاءِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**فَرِّغْ قَلْبَكَ مِنَ الْأَغْيَارِ - تَمْلَأْهُ بِالْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ، وَاحْذَرْ شُهُودَ مَا سِوَاهُ فِي نُزُولِكَ - فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ كَمَالِ شُهُودِكَ**»[1].

أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ سَيِّدِي ابْنِ عَطَاءِ اللهِ: «**أَنتَ مَعَ الْأَكْوَانِ مَا لَمْ تَشْهَدِ الْمُكَوِّنَ، وَإِذَا لَزِمْتَ الْبَابَ وَتَرَكْتَ السِّوَى وَشُهُودَهِ - فَلَا تَغْتَرَّ بِذِي الْاِسْتِقَامَةِ**»[2].

---

(١) قال ابن عجيبة في شرح هذه الحكمة « التفرغ هو الخلو من الشيء والتنظيف منه والأغيار جمع غير بكسر الغين وفتح الياء ويصح أن يكون بفتح الغين وسكون الياء، وهو أليق والمراد به حينئذ السوى، وإنما جمعه لتعدد أنواعه، كما قالوا في جمع العالمين، يقول رضي الله عنه: فرغ قلبك أيها الفقير من الأغيار وهو ما سوى الله تعالى، بحيث لا يتعلق قلبك بشيء من الكون علوياً أو سفلياً، دنيوياً أو أخروياً، حسياً أو معنوياً، كحب الخصوصية وغيرها من الحظوظ، فإذا رحل قلبك من هذا العالم بالكلية، ولم يبق فيه إلا محبة مولاه، فإنه يملؤه بالمعارف، بحيث يكشف عنك حجاب الوهم، ويذهب عنك ظلمة الحس».

(٢) ويعنى بذلك ابن عطاء الله أنك تكون مع الأكوان وعبداً لها ما لم تشهد المكون سبحانه فيها وقائماً عليها ومدبراً لها فإذا شهدته وعرفته حق معرفته كانت

«**وَاسْأَلْهُ السَّلَامَةَ**»: أَيِ: الْخَلَاصَ عَلَى مَمَرِّ الْأَنفَاسِ مِنَ الشُّؤُونِ النَّاشِئَةِ «**مِن دَارِ الْفُتُونِ**»، وَالْمَغِيرَةِ لِمَا حَصَلَ مِنَ الْفَيْضِ الْمَنُونِ.

وَتَيَقَّظْ لِمِثْلِ قَوْلِ سَيِّدِي ابْنِ عَطَاءِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**أَنتَ إِلَى حِلْمِهِ إِذَا أَطَعْتَهُ أَحْوَجُ مِنكَ إِلَى حِلْمِهِ إِذَا عَصَيْتَهُ**».

وَارْجِعْ إِلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ شَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ، مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ**».

وَلَوْ تَأَمَّلْتَ حَالَهُ وَحَالَ إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَسَائِرِ الْعَارِفِينَ وَالْمُحِبِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - وَجَدْتَهُ لِطَلَبِ السَّلَامَةِ لَا غَيْرَ، لَكِن سَلَامَةُ الْأَنبِيَاءِ: طَلَبُ الْخَلَاصِ شُكْرًا وَخَوْفًا عَلَى أُمَمِهِمْ، وَسَلَامَةُ الْمَلَائِكَةِ: طَلَبُ الْخَلَاصِ مِنَ الْغَفْلَةِ بِدَوَامِ الذِّكْرِ، وَسَلَامَةُ الْعَارِفِينَ وَالْمُحِبِّينَ: طَلَبُ الْخَلَاصِ مِن تَكَدُّرِ الْأَنفَاسِ لِلأَدَبِ مَعَ مَوْلَاهُمُ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَسَوَّاهُمْ، وَسَلَامَةُ الْمُؤْمِنِينَ: بِطَلَبِ الْخَلَاصِ مِنْ عَذَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ السُّلُوكَ إِجْمَالًا أَرَادَ أَن يُبَيِّنَ لَهُمْ دَوَاءَهُمْ مِنْ عَوَائِقِ الطَّرِيقِ إِلَى الْانتِهَاءِ، وَمَا يَكُونُ خَلَلاً بَعْدَ الرُّجُوعِ.

---

الأكوان معك ومسخرة لك وهذا حال علي الهمة والإرادة كما قال الشبلي: ليس يخطر الكون ببال من عرف المكون.

فَقَالَ: «**لَا يَضِيقُ صَدْرُكَ**» أَيُّهَا الرَّاقِي بِانصَابِ الْمَصَائِبِ عَلَيْكَ، وَأَيُّهَا الرَّاجِعُ بِرُؤْيَةِ وُقُوعِ مَا لَا يَرْضَى بِهِ سَيِّدُكَ.

«**فَالْحَادِثُ يَهُونُ**» ذَهَابُهُ وَزَوَالُهُ عَنكَ، أَيُّهَا الطَّالِعُ ﴿كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجهَهُ﴾[قصص: ٨٨]، وَوُجُودُهُ وَشُهُودُهُ عَلَيْكَ، أَيُّهَا النَّازِلُ ﴿قُلِ اللَّهُ- ثُمَّ ذَرهُم فِي خَوضِهِم يَلعَبُونَ ٩١﴾ [الأنعام]، «**كَانَ اللهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ**»(١).

قَالَ سَيِّدِي أَبُو يَزِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**طُوبَى لِمَن كَانَ هَمُّهُ هَمًّا وَاحِدًا، وَلَمْ يُشْغِلْ قَلْبَهُ بِمَا رَأَتْ عَيْنَاهُ، وَمَا سمِعَتْ أُذُنَاهُ**»(٢).

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري برقم(٣٠٤٥) ولفظه من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ، قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، فَقَالَ: اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ اليَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ ؟ قَالَ: كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَنَادَى مُنَادٍ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الحُصَيْنِ، فَانْطَلَقْتُ، فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا).

(٢) ينظر حلية الولياء برقم (١٤٨٩٤)

وَقَالَ أَبُو تُرَابٍ النَّخْشَبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**اَلْعَارِفُ: الَّذِي لَا يُكَدِّرُهُ شَيْءٌ، وَيَصْفُوا بِهِ كُلُّ شَيْءٌ**»(١).

«**اَللهُ الْمُقَدِّرُ**» عَلَى الصَّاعِدِ بِنَوَائِبِهِ، وَعَلَى النَّازِلِ بِخِلَافِ مَآرِبِهِ.

«**وَالْعَالَمُ شُؤُون**»: جَمْعُ شَأْنٍ، يَعْنِي: أُمُورَهُ وَتَجَلِّيَاتِهِ، يَتَصَرَّفُ فِيهَا مَا يُرِيدُ، فَلاَ تُنَازِعْهُ أَيُّهَا الرَّاقِي الشَّدِيدُ، وَلَا أَنتَ أَيُّهَا الْعَارِفُ الْعَتِيدُ؛ لِأَنَّهَا تَجِلِّيَّاتُ ذَاتِهِ، وَمَظَاهِرُ صِفَاتِهِ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ بَعْضِهِمْ رَحِمَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: [شعر]

لَا تُنكِرِ الْبَاطِلَ فِي طَوْرِهِ ... فَإِنَّهُ بَعْضُ كَمَالَاتِهِ

وَأَعْطِهِ مِنكَ بِمِقْدَارِهِ ... حَتَّى تُوَفِّي حَقَّ إِثْبَاتِهِ

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَأْنُهُ: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَآءِ القَومِ لَا يَكَادُونَ يَفقَهُونَ حَدِيثا ٧٨﴾ [النساء].

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ سَيِّدِي ابْنِ عَطَاءِ اللهِ فِي «حِكَمِهِ»: «**مَا تَرَكَ مِنَ الْجَهْلِ شَيْءٌ مَنْ أَرَادَ أَن يُحَدِّثَ فِي الْوَقْتِ غَيْرَ مَا أَظْهَرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ**»(٢).

---

(١) ينظر: سراج الغيوب في أعمال القلوب: ٦٤٥.

(٢) ومعنى هذه الحكمة أن من جليل آداب العارف الحقيقي أن يقر الأشياء في محلها ويسير معها على سيرها فكلما أبرزته القدرة للعيان فهو في غاية الكمال والإتقان، وقال أبو الحسن النوري رضي الله عنه: «مراد الله من خلقه ما هم عليه فإذا أقام الله عبداً في مقام من المقامات فالواجب على العارف أن يقره فيه بقلبه كائناً ما

وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ: «**لَا يَضِيقُ صَدْرُكَ**»: نَهْيٌ عَنِ الْإِزْعَاجِ الْحَاصِلِ بِالْفِعْلِ، لَا عَنِ الْانفِعَالِ النَّاشِئِ عَنِ الطَّبْعِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ سَيِّدُ الْوُجُودِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِذْ قَالَ عِندَ مَوْتِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**اَلْقَلْبُ يَحْزَنُ، وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَإِنَا عَلَى فِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونٌ**»(١).

وَلَا عَن كَرَاهَةِ مَا كَرِهُه الشَّارِعُ، وَإِنكَارِ مَا أَمَرَنَا بِإِنكَارِهِ - فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَسْقُطْ إِلَّا بِالْخُرُوجِ عَن دَائِرَةِ التَّكْلِيفِ، وَهُوَ بِسَتْرِ الْعَقْلِ، أَوْ بِالْمَوْتِ. وَالْكَلَامُ فِيمَا وَقَعَ، لَا فِيمَا سَيَقَعُ؛ لِأَنَّ الْمُنكَرَ لَا يُكُونُ مُنكَرًا إِلَّا

---

كان، فإن كان لا تسلمه الشريعة رغبة في الخروج عنه بالسياسة وينظر ما يفعل الله»، قال بعضهم: «من عامل الخلق بالشريعة طال خصمه معهم ومن عاملهم بالحقيقة عذرهم». فالواجب إذن أن يعاملهم في الظاهر بالشريعة فيذكرهم، وفي الباطن بالحقيقة فيعذرهم، ومن أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله تعالى في نفسه أو في غيره فقد جمع الجهل كله ولم يترك منه شيئاً حيث عارض القدر ونازع القادر.

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٠٣)من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال:(دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين - وكان ظئراً لإبراهيم عليه السلام - فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه. ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون).

بِالْوُقُوعِ، إِذْ قَبْلَ الْوُقُوعِ لَيْسَ بِشَيْءٍ، إِنَّمَا هُوَ فَرْضٌ وَتَقْدِيرٌ.

فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ التَّسْلِيمَ إِنَّمَا يَكُونُ فِيمَا وَقَعَ، لَا فِيمَا سَيَقَعُ، اَللَّهُمَّ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكَشْفِ، وَعَلِمَ قَطْعًا أَنَّهُ يَقَعُ الْبَتَّةَ - فَيُتَصَوَّرُ التَّسْلِيمُ مِنْهُ حِينَئِذٍ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ لِمَا مَنَحَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ النَّظَرِ إِلَى سَابِقِ الْقُدْرَةِ، و﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِم﴾، [الزمر: ٣٤، الشورى: ٢٢]، ثُمَّ إِذَا عَرِفْتَ أَنَّ التَّقْدِيرَ بِيَدِ الْفَرْدِ.

«**لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ**» أَيُّهَا الْعَبْدُ «**مَا قُدِّرَ**» أَيْ: مَا قَدَّرَهُ سَيِّدُكَ وَمَحْبُوبُكَ - «**يَكُون**» أَيْ: يَكُونُ الْبَتَّةَ لَا مَحَالَةَ، فَإِنَّهُ لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ رَحِمَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

إِذَا سَعِدُوا أَصْحَابُنَا وَشَقَيْنَا ... صَبَرْنَا عَلَى حُكْمِ الْقَضَا وَرَضَيْنَا[1]

وَقَالَ سَيِّدِي ابْنُ عَطَاءِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**لَا تَسْتَغْرِبْ وُقُوعَ الْأَكْدَارِ مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَإِنَّهَا مَا أَبْرَزَتْ إِلَّا مَا هُوَ مُسْتَحَقٌّ وَصْفُهَا وَوَاجِبٌ نَعْتُهَا، وَهَلْ شَيْءٌ أَعْظَمُ مِن مَعِيَّةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**»[2]

---

(١) أورد هذا البيت اليافعي في مرآو الجنان ٢/٢٧٧ وكأنه من نظم الشيخ جوهر اليمني.

(٢) وقصده من هذه الحكمة كما قال الشرنوبي في شرح الحكم: ٣٦«لا تعد وقوع الأكدار أمراً غريباً مدة كونك في هذه الدار الدنيوية فإنها ما أبرزت أي أظهرت إلا ما هو مستحق وصفها أي وصفها المستحق لها وواجب نعنها أي نعتها الواجب

إِذْ يَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَاصبِرُوَاْ- إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال].

ثُمَّ إِذَا سَلَّمْتَ لِسَابِقِ «فِكْرِكَ» فِي اللاَّحِقِ «وَاخْتِيَارِكَ» لِلْفَائِقِ «دَعْهُمَا وَرَاكَ» أَيْ: خَلْفَ ظَهْرِكَ، أَيِ: ارْمِهِمَا مِن قَلْبِكَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُنَاقِضٌ لِعُبُودِيَّتِكَ، وَخَلَلٌ فِي مَحْبُوبِيَّتِكَ.

وَمَا أَعْظَمَ قَوْلَ سَيِّدِي ابْنُ عَطَاءِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «سَوَابِقُ الْهِمَمِ لَا تَخْرِقُ سِوَارَ الْأَقْدَارِ»[1]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠، التكوير: ٢٩].

وَالتَّدْبِيرُ لِلأَصْلَحِ «أَيْضًا» أَيْ: دَعْهُ أَيْضًا، لَا تُشْغِلْ بِهِ سِرَّكَ فَيَفُوتُكَ

---

أي اللازم لها . فمن ضروریاتها وجود المکاره فیها مع الانهماك علیها کما قال بعض واصفیها:

طبعت علی کدر وأنت تریدها صفواً من الأقدار والأکدار
ومکلف الأیام ضد طباعها متطلب في الماء جَذوةَ نار.

(١) ویقصد بذلك کما قال الشرنوبي في شرح الحکم:١٧ « أن ما قدره الله في الأزل لا تَخْرِقُ أسوارَه المحیطة به - فضلاً عن أن تصل إلیه - سوابقُ الهمم أي لهمم السوابق وهي قوى النفس التي تنفعل عنها الأشیاء بإرادة الله تعالى وتکون للولي کرامة ولغیره کالساحر والعائن إهانة . وفیه تشبیه الأقدار بمدینة لها أسوار في الصیانة والحفظ على سبیل المکنیة . أي جب علیك - أیها المرید - أن تعتقد أن الهمم أسباب عادیة لا تأثیر لها وما ینشأ عنها إنما هو بقضاء الله تعالى وقدره فیکون عندها لا بها »

مَقْصُودُكَ، وَيَخْتَلُّ شُهُودُكَ.

وَانظُرْ إِلَى مُعَامَلَةِ أَهْلِ الْجِدِّ وَالْعِرْفَانِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**كُنتُ بِالْبَادِيَةِ، فَجُعْتُ جُوعًا شَدِيدًا، فَطَلَبَتْنِي نَفْسِي أَنْ أَسْأَلَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صَبْرًا، فَسَمِعْتُ هَاتِفًا: وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مِنَّا قَرِيبٌ، وَأَنَّا لَا نُضَيِّعُ مَنْ أَتَانَا، وَيَسْأَلُنَا الْقُوَى جَهْرًا وَصَبْرًا، كَأَنَّا لَا نَرَاهُ وَلَا يَرَانَا، فَأَيْنَ هَذِهِ النَّفْسُ مِنَ النَّفْسِ مَن يُدَبِّرُ، وَعَن تَرْكِهِ بِالْأَدَبِ لَا يَصْبِرُ**».

وَقَدْ أَجَادَ سَيِّدِي ابْنُ عَطَاءِ اللهِ، حَيْثُ قَالَ: «**أَرِحْ نَفْسَكَ مِنَ التَّدْبِيرِ فَمَا قَامَ بِهِ غَيْرُكَ عَنكَ لَمْ تَقُمْ بِهِ نَفْسُكَ، وَإِذَا أَرَحْتَ سِرَّكَ مِنْهُ فَتَيَقَّظْ بِإِرَادَتِكَ**»[(١)].

«**وَاشْهَدْ مَن بَرَاكَ**» -بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ- أَيِ: انظُرْ بِعَيْنِ بَصِيرَتِكَ يَا رَاقِي لِمَوْلَاكَ وَجَدِّدِ الشُّهُودَ فِي نُزُولِكَ؛ لِأَنَّكَ أَذْهَبْتَهُ مِن تِلْقَائِكَ، وَكَيْفَ تَغْفُلُ عَن مَوْلَاكَ الَّذِي بَرَأَكَ أَيْ: خَلَقَكَ وَأَنشَأَكَ وَأَطْعَمَكَ وَأَسْقَاكَ وَأَمَاتَكَ وَأَحْيَاكَ، وَأَنَّهُ أَلْطَفُ وَأَرْأَفُ، فَإِنَّهُ مَوْلَاكَ الْمُهَيْمِنُ، وَهُوَ كَمَا فِي الْقَامُوسِ بِمَعْنَى الْمُؤْمِنِ، مِنْ أَمِنَ غَيْرَهُ مِنَ الْخَوْفِ[(٢)].

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ سَيِّدِي ابْنُ عَطَاءِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**مَن ظَنَّ انفِكَاكَ لُطْفِهِ عَن قَدَرِهِ فَذَاكَ لِقُصُورِ نَظَرِهِ**»[(٣)].

---

(١) ينظر: الفتوحات الرحمانية في حل ألفاظ الحكم العطائية٦٩-٧٠.

(٢) القاموس المحيط: ١٢٤٠.

(٣) والقصد كما قال الشرنوبي في شرح الحكم:٨٩» من ظن انفكاك لطفه تعالى

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**اَلْعَارِفُ مَن لَا يَزُولُ اضْطِرَارُهُ، وَلَا يَكُونُ مَعَ غَيْرِ اللهِ قَرَارُهُ، فَاقْتَدِ بِهَذِهِ النَّفْس فِي نُزُولِكَ، وَبِالْأَوَّلِ فِي صُعُودِكِ - لِتَكُونَ مِنَ النَّاجِينَ**»(١).

وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ الْمُؤَمِّنُ لَكَ فِي بَلْوَاكَ - فَاعْلَمْ يَقِينًا أَنَّهُ يَرَاكَ فِي رُجُوعِكَ وَمَسْرَاكَ، فَالْزَمْ لَهُ الْأَدَبَ، وَاشْكُرْهُ عَلَى مَا أَوْلَاكَ.

---

وتخلفه عن قدره عليه وأنزله به من البلايا والمحن فذلك الظن إنما حصل له لقصور نظره الناشئ عن ضعف اليقين . فإن العارفين يشهدون المنن في المحن والعطايا في البلايا بل كثيراً ما يتلذذون بها لما يعقبها من المزايا فإنها توجب شدة قرب العبد من مولاه لأنه يكثر التضرع عند نزولها به والالتجاء إلى من يعلم سره ونجواه ويستعمل حسن الصبر والرضا والتوكل على من أراد له هذا القضا إلى غير ذلك من طهارة القلوب . وفي هذا من أنواع اللطف ما لا ينكره إلا كل محجوب . فإن ذرة من أعمال القلوب خير من أمثال الجبال من أعمال الجوارح «

(١) والقصد كما قال الشرنوبي في شرح الحكم: ٨٦» أن العارف بالله لا يزول اضطراره وافتقاره إلى مولاه فإنه يقدر معرفته لنفسه بالذل والافتقار يعرف ربه بالعز والعظمة والاقتدار . وأما غير العارف من العامة فإن اضطرارهم إنما يكون عند مثيرات الأسباب من الفقر والمرض ونحو ذلك لغلبة دائرة الحس على مشهدهم ومتى زالت زال اضطرارهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم إلى الله تعالى دائم . ومن أوصاف العارف أيضاً أنه لا يكون مع غير الله قراره لوجود وحشته من المخلوقات فلا يأنس إلى ببارئ الأرض والسماوات»

أَعْـطِ الْمُعِيَّـةَ حَقَّهَـا وَالْـزَمْ لَـهُ حُسْـنَ الْأَدَبِ
وَاعْلَـمْ بِأَنَّـكَ عَبْـدَهُ فِي كُلِّ حَـينٍ وَهْـوَ رَبُّ

وَقَالَ فِي «الْحِكَمِ»: «**مَن لَمْ يَشْكُرِ النِّعَمَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِزَوَالِهَا، وَمَن شَكَرَهَا فَقَدْ قَيَّدَهَا بِعِقَالِهَا**».

وَإِذَا تَيَقَّنتَ رُؤْيَاهُ، وَشَهِدْتَ جَلَالَهُ وَكِبْرِيَاءَهُ، وَلُطْفَه فِي قَضَائِهِ، وَلَزِمْتَ مَقَامَكَ وَحُضُورَكَ - «**فَوِّضْ أُمُورَك**» ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، خَيْرًا وَشَرًّا، نَفْعًا وَضَرًّا.

قَالَ فِي «الْحِكَمِ»: «**اَلْغَافِلُ إِذَا أَصْبَحَ نَظَرَ فِي مَاذَا يَفْعَلُ، وَالْعَاقِلُ يَنظُرُ فِي مَاذَا يَفْعَلُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ**».

وَرَحِمَ اللهُ مَن قَالَ: «**مَنْ حَطَّ ثِقَلَ أَحْمَالِهِ فِي بَابِ مَالِكِهِ - اسْتَرَاحَ، إِنَّ السَّلَامَةَ كُلَّهَا جُعِلَتْ لِمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ**».

وَإِذَا فَوَّضْتَ أَمْرَكَ إِلَيْهِ فَاعْتَمِدْ بِقَلْبِكَ عَلَيْهِ «**وَأَحْسِنِ الظُّنُون**» بِمَا لَدَيْهِ، وَلَا تُخَاطِبُكَ نَفْسُكَ بِسُوءِ الظَّنِّ بِهِ فِي صُعُودِكَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَقْطَعُكَ عَنِ الْمَرَامِ، وَلَا فِي رُجُوعِكَ؛ لِئَلَاَّ تَبْعُدَ بِهِ عَن قُرْبِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، إِذْ قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**»[1].

---

(١) أخرجه عن اثلة بن الأسقع رضي الله عنه أحمد (١٦٠١٦)، والدارمي

فَإِن ظَنَنتَ بِهِ الظَّنَّ الشَّيْن - خَرَجْتَ بِهِ مِنَ الْبَيْنِ، وَهَذَا كُلّهُ مِن كَدَرِ النَّفْسِ، إِذْ دَأْبَهَا أَبَدًا النُّزُول إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ؛ لِمُنَازَعَتِهَا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

**وَاعْلَمْ أَنَّ سُوءَ الظَّنِّ يَنشَأُ مِن شَيْئَين:**

إِمَّا مِن رُؤْيَةِ عِظَمِ الذَّنبِ الْمُقَنِّطِ مِن رَحْمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَإِمَّا مِنَ التُّهْمَةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْجَهْلِ بِمَعْرِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَدْ أَشَارَ السَّيِّدُ إِلَى دَوَاءِ الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ سَابِقًا: «**مَوْلَاكَ الْمُهَيْمِن**» الَّذِي آمَنَكَ مِنَ الْخَوْفِ بِكَمَالِ حِلْمِهِ وَعَفْوِهِ، أَلَمْ تَسْمَعْ بَعْضَ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَفَنَهُ، فَيَقُولُ لَهُ: عَبْدِي تَذْكُرُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، حِينَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَلَا يَزَالُ يُقَرِّرُهُ حَتَّى يَرَى أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، ثُمّ يَقُولُ: عَبْدِي أَنَا سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**»[1].

---

(٢٧٣١)، وابن حبان (٦٣٣)، وأصله في الصحيحين دون قوله: فليظن بي ما شاء، أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(١) وتمام الحديث كما عند البخاري في الصحيح برقم(٢٤٤١) عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي، مع ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهما آخِذٌ بيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كيفَ سَمِعْتَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ في النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: إنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ ويَسْتُرُهُ، فيَقولُ: أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيَقولُ: نَعَمْ أيْ رَبِّ، حتَّى إذَا قَرَّرَهُ بذُنُوبِهِ، ورَأَى في نَفْسِهِ أنَّه هَلَكَ، قالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا،

وَقَالَ فِي «الْحِكَمِ»: «**لَا يَعْظُمُ عِندَكَ الذَّنبُ عَظَمَةً تَصُدُّكَ عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**»، فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ اسْتَصْغَرَ فِي جَنبِ كَرَمِهِ ذَنبَهُ، وَتُبْ وَاعْتَذِرْ عَنْ هَذِهِ الذُّنُوبِ، وَكُلِّ ذَنبٍ.

مَا ذُنُوبِي فِي جَنبِ عَفْوِكَ حَتَّى ... يَقْطَعُ الْيَاسُ مِن رَجَاكَ اعْتِذَارِي [١٩]

وَقُلْ: **إِلَهِي كُلَّمَا أَخْرَسَنِي لُؤْمِي أَنطَقَنِي كَرَمُكَ، وَكُلَّمَا أَيِسَتْنِي أَوْصَافِي طَمَعَتْنِي مِنَّتُكَ**، كَمَا فِي «الْحِكَمِ» وَصَرَّحَ بِهِ.

وَالثَّانِي بِقَوْلِهِ «**وَأَحْسِن فِي الظُّنُون**» أَيْ: لَا تَتَّهِمْهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ أَلْطَفُ بِالشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ، أَلَمْ تَذْكُرْ قَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَلهُ أَرْحَمُ مِنْ هَذِهِ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا**»[(١)]، **أَوْ كَمَا قَالَ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ: «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ[(٢)] غَضَبِي»**[(٣)].

---

وأَنَا أَغْفِرُهَا لكَ اليَومَ، فيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وأَمَّا الكَافِرُ والمُنَافِقُونَ، فيَقولُ الأَشْهَادُ: {هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا علَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ علَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨].

(١) أخرج البخاري في الصحيح برقم(٥٩٩٩) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قَدِمَ علَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إذَا وجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ أخَذَتْهُ، فألْصَقَتْهُ ببَطْنِهَا وأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: (أتُرَوْنَ هذِه طَارِحَةً ولَدَهَا في النَّارِ قُلْنَا: لَا، وهي تَقْدِرُ علَى أنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: للَّهُ أرْحَمُ بعِبَادِهِ مِن هذِه بوَلَدِهَا).

(٢) أو سبقت.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح برقم ( ٧٥٥٤)من حديث أبي هريرة رضي الله

وَكَيْفَ لَا تَتَجَرَّدُ عَن ظَنِّ السُّوءِ بِنَفْسِكَ، وَلِذَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اِحْتَرِسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ**»[1] أَيْ :بِسُوءِ الظَّنِّ بِأَنفُسِكُمْ، وَإِنِ ادَّعَوْكَ بِالسُّلُوك والْعِرْفَان وَأَنتَ لَا تَتَيَقَّظْ لِمِثْلِ مَا قَالَ سَيِّدِي ابْنُ عَطَاءِ اللهِ: «**إن لَمْ تُحْسِن ظَنَّكَ بِهِ لِأَجْلِ وَصْفِهِ، حَسِّن ظَنّكَ بِهِ لِأَجْلِ مُعَامَلَتِهِ مَعَكَ، فَهَلْ عَوَّدَكَ إِلَّا حَسَنًا، وَهَلْ أَسْدَى إِلَيْكَ إِلّا مِنَنًا؟!**».

وَرَحِمَ اللهُ ابْنَ الْمُقْرِي حَيْثُ قَالَ قَصِيدَتَهُ الْمَعْرُوفَةُ نَفَعَنَا اللهُ بِبَرَكَاتِهِمْ... آمِينَ:

لِي فِي اللهِ حُسْنُ ظَنٍّ جَمِيلُ ... إِن تَجَافَا عَنِّي الْخَلِيلُ

لِيَ رِزْقٌ لا بُدَّ مِنْهُ وعُمُرٌ ... يَنْقَضِي وَالكَثِيرُ مِنْهُ قَلِيلُ

مَا قَضَاهُ الإِلَهُ لا بُدَّ مِنْهُ ... فَعِلامَ هَذَا العَرِيضُ الطَّوِيلُ

وَمَعَ العُسْرِ إِنْ تَتَابَعَ يُسْرٌ ... وَصُرُوفُ الزَّمانِ حَالٌ تَحُولُ

رُبَّ أَمْرٍ يَضِيقُ ذَرْعُكَ مِنْهُ ... لَكَ مِنْهُ إِلى النَّجَاةِ سَبِيلُ

---

عنه – إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهو مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ.–

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ((مداراة الناس)) (١١٣)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٥٩٨)، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (٦/٤٠١) ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٠/٥٤٧، له علتان.

وَمِن جُمْلَةِ الْأَخِلاَّءِ: نَفْسُكَ[١] الَّتِي بَيْنَ جَنبَيْكَ، فَيَنبَغِي إِذَا جَفَتْكَ وَأَوْبَقَتْكَ أَن تُحْسِنَ الظَّنَّ بِرَبِّكَ؛ لِأَنَّهُ الْخَلِيلُ الْحَقِيقِيُّ، وَهِيَ الْعَدُوَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ، وَإِذَا أَحْسَنتَ ظَنَّكَ وَأَخْلَصْتَ سِرَّكَ مِنَ الشُّؤْمِ الْغَبُونِ، وَعَادَ قَلْبُكَ عَلَيْكَ بِاللُّؤْمِ الْحَنُونِ.

فَقُلْ لَهُ: «لَا تُكْثِرْ هَمَّك»؛ لِعَدَمِ عِلْمِكَ بِالسِّرِّ الْمَصُونِ، «مَا قُدِّرَ يَكُون»: أَيْ: مَا قَدَّرَهُ عَلَيْكَ مِن شُؤْمٍ وَلُؤْمٍ، وَيَقَظَةٍ وَنَوْمٍ، فِي صُعُودِكَ وَنُزُولِكَ، يَكُونُ الْبَتَّةَ، لَا مَحَالَةَ - فَسَلِّمْ وَانشُقْ مِنَ النَّفَسِ الْمُحِبِّينَ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ رَحِمَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنَفَعَنَا بِهِمْ:

اِقْطَعُوا حَبْلِي وَإِن شِئْتُمْ صِلُوا كُلُّ فِعْلٍ مِنكُمُوا عِنْدِي حَسَنُ

فَرَحِمَ اللهُ هَؤُلَاءِ النَّاسِ الْمُطَهَّرِينَ الْأَنفَاسِ.

وَإِذَا انتَفَى عَنكَ الْهَمُّ، وَتَمَكَّنتَ مِن مَقَامِ التَّفْوِيضِ، وَاسْتَرَاحَ قَلْبُكَ بِعَذْبِ زُلَالِ ذَلِكَ الْمَقَامِ - فَحِينَئِذٍ تَأْتِيكَ النَّفْسُ، فَتَقُولُ: لَوْ كُنتَ كَذَا مِن وَقْتِ تَعَلُّقِكَ لَاسْتَرَحْتَ، أَوْ لَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ كَذَا لَاسْتَرَاحُوا

---

(١) والنفس أعدى أعداء الانسان قال الحداد في رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة:٣ « والنفس عدوٌّ، والعدو لا يؤمن، بل هي أعدى الأعداء، كما قال رسول الله ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك». ولله در القائل حيث يقول: توق نفسك لا تأمن غوائلها--فالنفس أخبث من سبعين شيطاناً اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي»

وَكَانَ أَحْسَنَ لَهُمْ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَإِذَا تَوَسطَتَ فِي الْمَقَامِ، وَحَصَلَ مَا يُؤَثِّرُ الْهَيَامَ، تَقُولُ لَكَ: لِمَ كَانَتِ الْمُنَازَعَةُ السَّابِقَةُ، لِخِفَّةِ عَقْلٍ أَمْ غَفْلَةٍ عَنِ اللاَّحِقَةِ؟

وَإِذَا تَرَقَّتْ إِلَى أَعْلَى مَقَامِ التَّفْوِيضِ، وَقَامَتْ فِي بَحْرِهِ الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ، فَحِينَئِذٍ يَعْتَرِيهِ الْعُجْبُ، فَتَقُولُ: كَيْفَ صَارَ مَا صَارَ، وَهُنَا الشِّفَاءُ وَالْأَنْوَارُ.

وَإِذَا نَزَلَتْ فَقَدْ يَقَعُ مِنكَ مِثْلُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ - فَاحْذَرْ عَن مِثْلِ هَذَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ ذَا الْقَوْلِ مِنكَ فِي الْحَالَيْنِ قَوْلُ ذَوِي الْحُمْقِ؛ لِأَنَّهُ مُنَاقِضٌ لِمَقَامِ التَّفْوِيضِ فِي صُعُودِكَ، وَقِلَّةُ أَدَبٍ فِي رُجُوعِكَ، فَتَنَبَّهْ مِنْ غَفْلَتِكَ، وَتَأَدَّبْ فِي مَعِيَّتِكَ.

«تَعْتَرِض» بِتَمَنِّيكَ وَتَفْتِشِكَ وَتَعَجُّبُكَ «عَلَى اللهِ» الْعَظِيمِ الْمَقْصُودِ، «الَّذِي خَلَقَ» كُلَّ الْوُجُودِ، وَأَنَارَهُ بِظُهُورِ الْمُجُودِ عَلَيْهِ، بِكُلِّ وَارِدٍ وَوُرُودٍ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ مَعْدُودٍ، «وَقَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ بِحَقٍّ» أَيْ: لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا ظُلْمَ؛ لِأَنَّهُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ تَعْتَرِي كُلَّ أَحَدٍ حَتَّى كُمَّلِ الْعَارِفِينَ أَحْيَانًا، أَلَا تَرَى قَوْلَ بَعْضِهِمْ: «وَدِدْتُ لَوْ كَانَتْ لِيَ الدُّنْيَا فَأَتَصَدَّقُ بِهَا»، وَقَوْلَ الْآخَرِ: «وَدِدْتُ أَن لَا يُعْصَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ»، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا

ذُكِرَ عَن كَثِيرٍ مِنَ الْعَارِفِينَ، وَهُوَ نَقْصٌ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ شُهُودِ التَّرْكِ لِمُرَادِ رَبِّهِمْ فِيهِمْ حِينِ صُدُورِ ذَلِكَ الْقَوْلِ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ عَنْ حَالٍ فَلَا يُعَدُّ نَقْصًا، وَمِنْهُ قَوْلُ مُظْهِرِ الدِّينِ وَسُلْطَانِ الْعَارِفِينَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَعَظَ أُوَيْسَ الْقَرْنِيِّ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**لَيْتَ عُمَرُ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّهُ، لَيْتَهَا كَانَتْ عَقِيمًا، لَمْ تُعَاجِلْ حَمْلَهَا**»[١]، وَتَكَرَّرَ مِنْهُ ذَلِكَ وَمِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْعَارِفِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

فَإِذَا بُلِيتَ بِشَيْءٍ مِنْ غَيْرِ حَالٍ فَتَيَقَّظْ، وَقُلْ: «**يَا قَلْبِي تَنَبَّه**» مِنْ هَذِهِ الْغَفْلَةِ أَوِ الرَّقْدَةِ «**وَاتْرُكِ الْمُجُون**» أَيْ قِلَّةَ الْحَيَاءِ، فِي «الْقَامُوسِ»: قَلْبٌ مَجَنَّةٌ[٢].

أَسْقِطِ الْحَيَاءَ وَافْعَلْ مَا شَاءَ؛ لِأَنَّكَ فِي مَقَامِ التَّيَقُّظِ فِي الْأَنْفَاسِ،

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٣٤) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/٣١٣)، ومسدد في «مسنده» -كما في «المطالب العالية» (٣٩٠٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/٣٣٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٦٢١)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/٩٢٠)، وابن أبي الدنيا في «المتمنين» (١٢)، من طريق عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخذ تبنة من الأرض، فقال: «يا ليتني هذه التبنة، ليتني لم أك شيئا، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسيا منسيا»

(٢) القاموس المحيط: ١١٨٧.

وَالْغَفْلَةِ عَن ذَلِكَ مِنَ الْأَدْنَاسِ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ سَيِّدِي ذَا النُّونِ الْمِصْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِبَرَكَتِهِمْ فِي الدَّارَيْنِ... آمِينَ:

أَنـتَ فِي غَفْلَـةٍ وَقَلْبُـكَ سَـاهِي ... نَفَـذَ الْعُمُـرُ وَالذُّنُـوبُ كَـمَا هِـي
جُمَّـةٌ حُصِيَـتْ عَلَيْـكَ جَمِيعًـا ... فِي كِتَـابٍ وَأَنـتَ عَـن ذَاكَ لَاهِـي
لَمْ تُبَـادِرْ لِتَوْبَـةٍ مِنـكَ حَتَّـى ... صِرْتَ شَيْخًا وَحَبْلُكَ الْيَوْمَ وَاهِي

فَاجْتَهِدْ فِي فِكَاكِ نَفْسِكَ وَاحْذَرْ ... يَومَ تَبْدُو السِّمَاتَ فَوْقَ الْجَبَاهِ[1]

وَقَالَ فِي «الْحِكَمِ»: «**حُقُوقٌ فِي الْأَوْقَاتِ يُمْكِنُ قَضَاؤُهَا، وَعُقُوقُ الْأَوْقَاتِ لَا يُمْكِنُ قَضَاؤُهَا**»[2]؛ إِذْ مَا مِن وَقْتٍ يَرِدُ إِلاَّ وَلِلهِ عَلَيْكَ فِيهِ حَقٌّ جَدِيدٌ،

---

(١) أوردها ابن عساكر في ترجمته في تاريخ مدينة دمشق ١٧/ ٤٣٤.

(٢) وذلك أن الحقوق التي في الأوقات: هي الطاعة التي عينَّ الله تعالى لها وقتاً محدوداً؛كالصلوات الخمس والستت المؤكّدة، وكذلك الزكاة والصيام لهما وقتٌ محدود في العام، فإذا خرج وقتها أمكن قضاؤها وإن كان يُسمَّى مُفَرِّطاً لكن بعض الشر أهون من بعض.

وأما حقوق الأوقات بأنفسها فهي مراقبة الحق أو مشاهدته كل واحد على قدر وسعه، فما من وقت أو لحظة ترد عليك أيها العبد إلّا ولله عليك فيها حق جديد، من ذكر أو فكرة أو نظرة أو من مراقبة أو مشاهدة أو من خدمة حسيّة أو معنويّة، فأمر أكيد من التحقق بالعبودية والقيام بوظائف الربوبية.

الحاصل أن كل وقت له حق، فإن فات فلا قضاء له، ولذلك قالوا في الآداب: التصوف هو ضبط الأنفاس وحفظ الحواس. والأنفاس: هي دقائق الساعات وضبطها: هي عمارتها بأنواع الطاعات، فإذا ضيّع حقوق الساعات خرج عن أدب

عَامِرٌ أَكِيدٌ، فَكَيْفَ تَقْضِي فِي حَقِّ غَيْرِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقْضِ حَقّ اللهِ فِيهِ، مَا فَاتَكَ مِنْ عُمْرِكَ الْأَعْوَض لَهُ، وَمَا حَصَلَ لَكَ مِنْهُ لَا قِيمَةَ لَهُ، فَكَيْفَ تُكَدِّرُهُ بِالْهَوَسِ، أَفَلاَ تَشْكُرُهُ فِي كُلِّ نَفَسٍ، يَا مَن يَطْلُبُ السَّلاَمَةَ مِنَ الدَّنَسِ، [٢٣] وَيَرُومُ شُهُودَ الْغَرْدِ الْأَقْدَسِ.

فَإِذَا انتَبَهَ مِنْ غَفْلَتِهِ، وَصَحِيَ فِي قَوْمَتِهِ وَقَعْدَتِهِ، وَعَادَ إِلَى الْهَمِّ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الشُّؤُونِ – فَقُلْ لَهُ: «**لَا تُكْثِرْ هَمَّك**» بِهَذَا اللُّؤْمِ، «**مَا قُدِّرَ يَكُونُ**»: أَيْ: مَا قَدَّرَهُ عَلَيْكَ مِنَ الْاِغْتِرَاءِ وَقِلَّةِ الْأَدَبِ الْمُوجِبِ لِلأَمْرَاضِ يَكُونُ الْبَتَّةُ قَبْلَ الْاِنْعِرَاضِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَقَامُ التَّفْوِيضِ وَالتَّسْلِيمِ مِنْ أَعْلَى رُتَبِ الْعُبُودِيَّةِ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ السُّلُوكِ الْاِنتِهَاءُ إِلَيْهِ، جَعَلَ السَّيِّدُ كَلاَمَهُ كُلَّهُ فِي بَيَانِ مَوَانِعِهِ، وَتَخْلِيصِهِ وَتَصْفِيَتِهِ إِلَى الْحَدِّ الْأَقْصَى، فَإِذَا حَصَلَ لَكَ فِي مَرْقَاكَ هَذَا الْمَقَام، وَاسْتَصْحَبْتَ ذَلِكَ بَعْدَ حُصُولِ الْمَرَامِ – فَاعْلَمْ أَنَّ النَّفْسَ تُرِيدُ أَن تُكَدِّرَهُ فِي مَرْقَاكَ، وَأَن تَزِلَّ فِيهِ بَعْدَ الرُّجُوعِ مِن مَسْرَاكَ، وَلَيْسَ

---

التصوف، والله تعالى أعلم.

قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه: «أوقات العبد أربعة لا خامس لها، نعمة أو بلية، طاعة أو معصية، وله على عبده في كل وقت منها حق، ففي النعمة الشكر، وفي البلية الصبر، وفي الطاعة شهود المنَّة، وفي المعصية اللجأ والإنابة وطلب الإقالة».

لَهَا مَيْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا لِمَا جَعَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَدَدَ حَيَاتِهَا، وَهُوَ مَا بِهِ قَوَامُهَا مِنَ الرِّزْقِ الظَّاهِرِيِّ وَالْبَاطِنِيِّ، فَتَأَكَّدَ مِن بَابِهِ، وَتَقُولُ لَكَ: لَا بَأْسَ بِمَا سَيَّرْتَنِي إِلَيْهِ، وَطَبَعْتَنِي عَلَيْهِ، وَإِنِّي مُطِيعَةٌ لَكَ، وَمَسْرُورَةٌ بِهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الرَّاحَةِ الْعَاجِلَةِ، فَأَعِنِّي أَنتَ بِطَلَبِ مَا بِهِ قَوَامِي وَحَيَاتِي، وَنَشْءِ عِظَامِي؛ لِئَلاَّ أَضْعُفَ بِأَسْقَامِي، وَيَخْتَلَّ مَرَامُكَ [٢٤] وَمَرَامِي، فَقُلْ أَيَّتُهَا الْمُخَاطَبَةُ بِهَذَا الْكَلاَمِ .

«**قَدْ ضَمِنَ تَعَالَى بِالرِّزْقِ الْقَوَام**»: أَيْ: مَا بِهِ قَوْمُكَ الْمُوصِلُ لِلْمَرَامِ، «**فِي الْكِتَابِ الْمُنزَل**» عَلَى خَيْرِ الْكِرَامِ، هُدًى «**نُورُ الْأَنَام**»، قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ- فِي الأَرضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزقُهَا﴾ [هود: ٦]، ﴿وَفِي السَّمَآءِ رِزقُكُم وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات]: أَيْ: وَفِي سَمَاءِ الْوُجُودِ رِزْقُكُمْ ظَاهِرًا، وَفِي سَمَاءِ الشُّهُودِ مَا تُوعَدُونَهُ بَاطِنًا، وَلَمْ يَكْفِكَ هَذَا حَتَّى أَقْسَمَ لَكَ، وَقَالَ: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالأَرضِ إِنَّهُ- لَحَقٌّ- مِّثلَ مَآ أَنَّكُم تَنطِقُونَ ٢٣﴾ [الذاريات].

أَفَلاَ تَلْزَمِ الْأَدَبَ؟! يَا مَعْتُوهَةُ! تَدَّعِي الْمَحَبَّةَ أَوْ طَلَبَهَا وَلَا تَكْتَفِي بِذِكْرِ الْمَحْبُوبِ، اُنظُرِي إِلَى الْمُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ: «**أَنتَ رَبِّي إِذَا ظَمِئْتُ مِنَ الْمَاءِ، وَقُوتِي إِذَا أَرَدْتُ الطَّعَامَ**»[١]، وَلاَ تَجِيءُ أَن تَكُونِي

(١) نسبه ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن الي اشرف الاماكن: ٤٠٢-٤٠٣، الى

مِمَّن قِيلَ فِي حَقِّهِمْ لِبَعْضِهِمْ: [شعر]

طَلَبَـت إِلَيَّ الزِّيَـارَةَ أَهْـلُ وُدِّي وَلَمْ أَطْلُـبْ بِهَـا أَحَـدٌ سِـوَاهُم

فَجَـاؤُونِي إِلَى بَيْتِـي كِرَامًـا فَأَهْـلًا بِالْكِـرَامِ وَمَـن دَعَاهُـم

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «**قَلِّلُوا اهْتِمَامَكُمْ لَكُمْ، وَوَفِّرُوا اهْتِمَامَكُمْ بِكُم، وَتَوَسَّدُوا وِسَادًا مِنَ الشُّكْرِ، وَالْبِسُوا لِبَاسًا مِنَ الذِّكْرِ، وَالتَحِفُوا لِحَافًا مِنَ الْخَوْفِ - تَفُوزُ بِمَداحَةِ الرَّبِّ**»[1].

وَإِذَا عَلِمْتِ أَيَّتُهَا النَّفْسُ [٢٥] الْمُشَارُ إِلَيْكِ ضَمَانَ رَبِّكِ بِمَا هُوَ قَوَامٌ لَدَيْكِ - فَاعْلَمِي أَنَّ «**الرِّضَا فَرِيضَةٌ**» عَلَيْكِ، وَكَيْفَ تَغْفَلِي عَن وَاجِبَةٍ عَلَيْكِ، وَهُوَ الَّذِي يَجِبُ أَن يُقَالَ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ: «**لَبَّيْكَ**»، وَمَعَ ذَلِكَ تَسْخُطِي -«**وَالسُّخْطُ حَرَام**» عَلَيْكِ فَأُفٍّ لَكِ يَا سَاعِيَةً فِي ذَهَابِ مَا لَدَيْكِ، إِذَا لَحَتْ فَزِدْهَا فِي الرَّدْعِ.

وَقُلْ لَهَا: «**اَلْقَنَاعَةُ رَاحَةٌ**» عَاجِلَةٌ، مِنْهُمْ طَلَبُ الْقَوَامِ، وَسَبَبُ الْمَزِيدِ وَالْفَيْضِ وَالْإِنْعَامِ، وَالطَّمَعُ فِيمَا لَا يَعْلَمُ مَحَلُّهُ - جُنُونٌ؛ لِأَنَّهُ لَقَبٌ فِيمَا لَيْسَ فِيهِ بِمَظْنُونٍ.

قَالَ سُلْطَانُ الْعَارِفِينَ سَيِّدِي عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ

---

الامام موسى بن جعفر الصادق المتوفى سنة(١٨٣هـ).

(١) نسبه ابن الاثير في المختار من مناقب الأخيار٣/٧٧،الى أبي الحسين محمد بن أحمد بن سمعون البغدادي، المتوفى (٣٨٧هـ).

الرَّبَّانِي: «اَلنِّعَمُ وَاصِلَةٌ إِلَيْكَ بِالْقِسْمَةِ، اجْتَلَبْتَهَا أَمْ لَا، وَالْبَلْوَى حَالَةٌ بِكَ وَإِن كَرِهْتَهَا - فَسَلِّمْ لِلهِ فِي الْكُلِّ، ((يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ))[الحج:١٨]، فَإِنْ أَتَتْكَ نِعْمَةٌ - فَاشْتَغِلْ بِالذِّكْرِ وَالشُّكْرِ، أَوْ بَلْوَى - فَبالصَّبْرُ وَالْمُوَافَقَةُ، وَأَعْلَا مِنْهَا الرِّضَا وَالتَّلَذُّذ بِالْقَضَاءِ-[١].

وَقَالَ الْعَارِفُ النَّهَرْجُورِيُّ[٢]: «مَن كَانَ شِبَعُهُ بِالطَّعَامِ - لَمْ يَزَلْ جَائِعًا، وَمَن كَانَ غِنَاهُ بِالْمَالِ - لَمْ يَزَلْ فَقِيرًا، وَمَن طَمَعَ فِي الْخَلْقِ - لَمْ يَزَلْ مَحْرُومًا، وَمَنِ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللهِ - لَمْ يَزَلْ مَخْذُولًا»[٣].

وَإِذَا صَحَتِ النَّفْسُ مِنَ الْجُنُونِ، وَتَيَقَّظَ الْقَلْبُ الْمَفْتُونُ [٢٦] وَعَادَ بِالْهَمِّ عَلَيْكَ فَقُلْ لَهُ:

«لَا تُكْثِرْ هَمَّك» فِيمَا لَيْسَ إِلَيْكَ يَا مَجْنُونُ، «مَا قُدِّرَ يَكُونُ».

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ الشَّخْصُ الرُّجُوعَ إِلَى الْقَهْقَرِيِّ وَلَوْ بَعْدَ الْوُصُولِ، وَلَا يَنقَطِعُ الِامْتِحَانُ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْأُفُولِ، وَإِنَّ مِنَ الِامْتِحَانِ بَعْدَ

---

(١) ينظر: مقدمة المحقق كوكب المباني وموكب المعاني شرح صلوات سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني:٩.

(٢) هو أبو يعقوب اسحاق ين محمد صحب الجنيد، كان أمام وقته، توفي سنة(٣٣٠هـ) ينظر: حلية الأولياء١/٣٥٦،الرسالة للقشيري:٣٥، شذرات الذهب٢/٣٢٥.

(٣) الكواكب الدرية للمناوي١/٥٩٧

الْعَزْمِ عَلَى التَّفْوِيضِ وَالتَّسْلِيمِ وَالرَّدْعِ عَلَى طَلَبِهَا الرِّزْقِ الْقَوِيمِ، أَن يَخْتَبِرَكَ بِتَأْخِيرٍ شَدِيدٍ، فَعِندَ ذَلِكَ تَقُولُ النَّفْسُ: أَلَمْ أُرْشِدْكَ إِلَى طَلَبِ فِرَاشٍ مَهِيدٍ؛ لِأَكُونَ عَوْنًا عَلَى الْمَزِيدِ، فَقُلْ لَهَا بِلِسَانٍ عَتِيدٍ:

«**أَنتَ وَالْخَلَائِقُ كُلُّهُم**» عَبِيدٌ، وَمَاذَا يَنفَعُ الْعَبْدَ مَعَ الْفَرْدَ الْمَجِيدِ، إِلَّا قَوْلَهُمْ: نَحْنُ عَبِيدٌ.

وَ«**الْإِلَهُ فِينَا يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**»، وَإِذَا كَانَ الِامْتِحَانُ إِلَى الْمَزِيدِ، وَظَهَرَ الْهَمُّ الشَّدِيدِ، وَالِاغْتِمَامُ الْمَزِيدُ.

فَقُلْ لَهَا: «**هَمُّكِ وَاغْتِمَامُكِ وَيْحَكِ مَا يُفِيدُ؟**»، بَلْ ذَلِكَ مِنكِ فِي الِامْتِحَانِ يَزِيدُ، وَإِلَى مَتَى يَا قَلْبُ تَظْهَرُ بِالْجُنُونِ؟، «**اَلْقَضَاءُ تَقَدَّمُ فَاغْتَنِمِ السُّكُونَ**»؛ لِتَرُوقَ وَتَسْتَرِيحَ مِن كَدَرِ الْفُتُونِ، وَإِذَا أَرَاقَ مِن كَثْرَةِ الْجُنُونِ.

فَقُلْ لَهُ: «**لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ**» بَعْدَ هَذَا السُّكُون لِمَا وَقَعَ فِي الْمَاضِي مِنَ الشُّؤُونِ، «**مَا قُدِّرَ يَكُونُ**»، وَإِذَا ثَبَتَ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَزَادَ الِاخْتِبَارُ بِالْمَرَامِ، فَتَقُولُ الْمُنَازِعَةُ: صَبَرْت عَلَى مَا تُرِيدُ، وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى غَيْرِكَ مِنَ الْمُمْتَحِنِينَ، أَلَمْ يَأْتِهِمُ الرِّزْقُ مِمَّن قَالُوا لَهُ: لَبَّيْكَ؟ فَقُلْ لَهَا:

«**اَلَّذِي لِغَيْرِكَ**» ظَاهِرًا كَانَ أَوْ بَاطِنًا - «**لَا يَصِلُ إِلَيْكَ**»؛ لِأَنَّكَ لَسْتَ مِنْهُ، وَلَا هُوَ إِلَيْكَ، وَ«**اَلَّذِي قُسِّمَ لَكَ**» مِن مَنْعٍ أَوْ عَطَاءٍ «**وَاصِلٌ لَدَيْكَ**»، وَرُبَّمَا كَانَ الْمَنْعُ هُوَ عَيْنُ الرَّحْمَةِ عَلَيْكَ، وَمَا تُجِيبُهُ أَشَدُّ الشَّرِّ عَلَيْكَ، أَلَمْ

تَسْمَعِي قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكرَهُواْ شَئا وَهُوَ خَير- لَّكُم- وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَئا وَهُوَ شَرّ- لَّكُم﴾، [البقرة: ٢١٦]، وَلَمْ ❊❊❊ لِشَيْءٍ مِثْلَ قَوْلِ سَيِّدِي ابْنِ عَطَاءِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**رُبَّمَا أَعْطَاكَ فَمَنَعَكَ، وَرُبَّمَا مَنَعَكَ فَأَعْطَاكَ**»[١].

وَقَوْلُهُ أَيْضًا: «**اَلْعَطَاءُ مِنَ الْخَلْقِ حِرْمَانٌ، وَالْمَنْعُ مِنَ اللهِ إِحْسَانٌ، مَتَى أَعْطَاكَ أَشْهَدَكَ بِرَّهُ، وَمَتَى مَنَعَكَ أَشْهَدَكَ قَهْرَهُ، وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ مُتَعَرِّفٌ إِلَيْكَ، وَمُقْبِلٌ بِجُودِ لُطْفِهِ عَلَيْكَ، إِنَّمَا يُوهِمُكَ الْمَنْعَ؛ لِعَدَمِ فَهْمِكَ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ، وَرُبَّمَا فَتَحَ لَكَ بَابَ الطَّاعَةِ وَمَا فَتَحَ لَكَ بَابَ الْقَبُولِ، وَقَضَى عَلَيْكَ بِالذَّنبِ فَكَانَ سَبَبًا فِي الْوُصُولِ، مَتَى كُنتَ إِذَا أُعْطِيتَ بَسَطَكَ الْعَطَاءُ، وَإِذَا مُنِعْتَ قَبَضَكَ الْمَنْعُ، فَاسْتَدِلَّ لِذَلِكَ عَلَى وُجُودِ طُفُولِيَّتِكَ، وَعَدَمُ صِدْقِكَ فِي عُبُودِيَّتِكَ**»[٢] اِنتَهَى كَلاَمُ «اِلْحِكَمِ».

---

(١) والقصد كما قال الشرنوبي في شرح الحكم: ٧٨» أي: ربما أعطاك مولاك ما تميل إليه من الشهوات فمنعك التوفيق لعظيم القرب والطاعات . وربما منعك من شهواتك فأعطاك التوفيق الذي هو بغية، السالك . وحينئذ فيجب على المريد ترك التدبير وتفويض الأمر إلى العليم الخبير . ولا ينظر لظاهر العطاء قبل أن ينكشف عنه الغطاء متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء،أي: متى فتح لك مولاك باب الفهم عنه في المنع بأن فهمت أنه بمنعه أشهدك قهره وعرفت حكمته فيه عاد المنع أي صار عين العطاء -

(٢) والقصد كما قال الشرنوبي في شرح الحكم: ٧٩-٨٠» أن العطاء من الخلق

وَأَيْنَ ادِّعَاؤُكِ لِلْمَحَبَّةِ وَالْعِرْفَانِ، وَأَنتِ لَمْ تَذُوقِي شَيْئًا مِمَّا ذَاقَهُ أَهْلُ هَذَا الشَّأْنِ، بَلْ وَلَمْ تَشُمِّي شَيْئًا مِن رَائِحَةِ أَنفَاسِهِمْ.

أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ سُلْطَانَ الْعَارِفِينَ وَالْمُحِبِّينَ سَيِّدِي مُحْيِي الدِّينِ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجِيلاَنِيِّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الرَّبَّانِيَّ وَنَفَعَنَا بِهِ فِي الدَّارَيْنِ وَأَمَاتَنَا اللهُ عَلَى حُبِّهِ:

أَأَظْمَا وَأَنتَ الْعَذْبُ فِي كُلِّ مَنْهَل ... وَأُظْلَمُ فِي الدُّنْيَا وَأَنتَ نَصِير[1]

---

مع الغفلة عن الحق حرمان في نفس الأمر لأنه يوجب حبهم والتعلق بهم وصرف الوقت في مكافأتهم وذلك يوجب ذهول القلب عن الحق فيفوته من المعارف ما لا يحصى وأي حرمان أعظم من ذلك . وما ألطف قول بعضهم:

فلا ألبسُ النَّعْما وغيركَ مُلبِسي ولا أقبلُ الدّنيا وغَيركَ واهبي

والمنع من الله إحسان في الحقيقة لاقتضائه الالتجاء إليه ودوام وقوف السائل بين يديه وذلك عبودية و أي إحسان أعظم من التوفيق لها... أي متى أعطاك مولاك – أيها المريد – ما تريد أشهدك بره أي: صفاته البرية التي تقتضي البر: من الجود والكرم واللطف والعطف ونحو ذلك . ومتى منعك أشهدك قهره أي: صفاته القهرية التي تقتضي القهر: كالكبرياء والعزة والاستغناء . فهو في كل ذلك أي: في كلتا الحالتين متعرف إليك أي مريد منك أن تعرفه بأوصافه الجمالية والجلالية... يعني: أن الطاعة ربما قارنها آفات قادحة في الإخلاص فيها كالإعجاب بها واحتقار من لم يفعلها فلا يفتح لها باب القبول . وربما قارن الذنب شدة الندم واستصغار النفس وحسن الاعتذار إلى الله فيكون سبباً في الوصول–

(١) وللشيخ عبد الغني النابلسي تخميس على هذا البيت :

ألا يا فتى كيلان حف بجحفل ... من الأوليا يا نسل أفضل مرسل

وَإِذَا خَضَعْتَ لِهَذَا الْخِطَابِ، وَخَلَصْتَ مِن مُنَازَعَةِ رَبِّ الْأَرْبَابِ، وَاسْتَقَرَّ مَقَامُ التَّفْوِيضِ، وَاسْتَرَاحَ قَلْبُكَ بِرُوحِهِ الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ.

فَقُلْ لَهُ: اِنْهَضْ وَ«**اشْتَغِلْ بِرَبِّكَ**»: أَيْ: بِمَحَبَّتِهِ وَالشَّوْقِ، وَلَا تَكَاسَلْ.

أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ سَيِّدِي ابْنِ عَطَاءِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اَلْخُذْلَانُ كُلُّ الْخُذْلَانِ أَن تَتَفَرَّغَ مِنَ الشَّوَاغِلِ، ثُمَّ لَا تَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ، وَتَقِلَّ عَوَائِقُكَ، ثُمَّ لَا تَرْحَلْ إِلَيْهِ»[١].

وَقَالَ أَيْضًا: «**لَا تَرْحَلْ مِن كَوْنٍ إِلَى كَوْنٍ، فَتَكُونُ كَحِمَارِ الرَّحَى يَسِيرُ، وَالَّذِي ارْتَحِلُ إِلَيْهِ هُوَ الَّذِي ارْتَحَلَ مِنْهُ، وَلَكِنِ ارْحَلْ مِنَ الْأَكْوَانِ إِلَى الْمُكَوِّنِ، ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ٤٢﴾ [النجم]**»[٢] «**فَمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**

---

ويا من هو السلطان من غير مجهل ... أأظمأ وأنت العذب في كل منهل
وأظلم في الدنيا وأنت نصيري

(١) والقصد كما قال الشرنوبي في شرح الحكم: ١٧٦«يعني أن الخذلان التام المؤكد أن تتفرغ من الشواغل بأن كان عندك ما يكفيك من الدنيا الدنية ثم لا تتوجه إليه بالاشتغال بما يقربك إلى حضرته القدسية وتقل عوائقك التي تنقلك عن الإقبال عليه ثم لا ترحل بكامل توجهاتك إليه. قال الإمام القشيري: فراغ القلب من الأشغال نعمة عظيمة فإذا كفر عبد هذه النعمة بأن فتح على نفسه باب الهوى وانجر في قياد الشهوات شوش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجد من صفاء لبه»

(٢) ينظر: شرح الحكم العطائية المسمى الهدى للإنسان إلى الكريم المنان- البيومي:٧٦.

**- فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، [٢٩] فَمَن كَانَت هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا - فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهَا»**[1]**، وَتَأَمَّلْ هَذَا الْأَمْرَ إِن كُنتَ ذَا بَصِيرَةٍ...»** اِنتَهَى.

يَعْنِي: فُكُلُّ مَا سِوَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى الْأَنْوَارِ وَالْأَسْرَارِ فَضْلاً مِنَ الرَّاحَاتِ، فَالْقَصْدُ إِلَيْهَا قَصْدٌ إِلَى الدُّنْيَا، وَكَمْ يَفِدُ مِن سَيْرِكَ شَيْءٌ فَتَنَبَّهْ مِن رَاحَتِكَ، وَاشْتَغِلْ بِعِبَادَتِكَ، وَاجْعَلْ قَصْدَكَ هُوَ، فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ إِلَّا هُوَ، رَحِمَ اللهُ الْقَائِلَ:

لَيْسَ لِلْعَبْدِ سِوَى اللهِ ... فَانتَهِضْ وَاقْصِدْ مَعَ اللهِ
وَاحْذَرِ الْأَغْيَارَ وَاشْهَدْ ... كُلَّ ذِي الْأَشْيَاءَ إِلَى اللهِ
وَالْزَمِ الْآدَابَ وَاتْرُكْ ... حَالَةَ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ
هَكَذَا مَن كَانَ عَبْدًا ... فَوَّضِ الْأَمْرَ إِلَى اللهِ
لَيْسَ تَخْشَى قَطُّ سُوءٍ ... إِن تَوَكَّلْتَ عَلَى اللهِ
لَا وَلَا صَدٌّ وَطَرْدٌ ... إِن تَوَجَّهْتَ إِلَى اللهِ
كَمْ ذُنُوبٍ سَتَرَ اللهُ ... كَمْ عُيُوبٍ غَفَرَ اللهُ

وَإِلَى مَتَى هَذَا الصَّبْرُ الْقَبِيحُ؟!

---

(١) هو في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).

أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الْمُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ، سَيِّدِي أَبِي بَكْرٍ الشِّبْلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**اَلصَّبْرُ يُحْمَلُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلّا عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ لَا يُحْمَلُ**»، **وَلِذَا قَالَ سَيِّدُ الطَّائِفَةِ الْجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «اَلْغَفْلَةُ [٣٠] عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَشَدُّ مِن دُخُولِ النَّارِ»**.

وَكَيْفَ تَطْلُبُ الرَّاحَةَ؟ وَهَلْ رَاحَةٌ لِمُحِبٍّ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ سَيِّدِي الشِّبْلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

هَذِهِ دَارُهُمْ وَأَنتَ مُحِبٌّ ... ما احْتِبَاسُ الدُّمُوعِ فِي الْأَمَاقِي[١]

هَذَا خِطَابٌ لَكَ فِي تَرَقِّيكَ.

وَأَمَّا فِي نُزُولِكَ فَاشْتَغِلْ بِشُهُودِهِ فِي الْأَنفَاسِ، وَلَا تُكَدِّرْهُ بِصَغِيرِ الْأَدْنَاسِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُخْرِجُكَ مِنْ أَن تُعَدَّ مِن كُمَّلِ النَّاسِ؛ إِذْ «**حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ الْأَخْيَارِ**».

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ سَيِّدِي ابْنِ عَطَاءِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**لَا**

---

(١) وذلك عندما حج الشبلي وقد وصل للكعبة المشرفة فقال:

قلت للقلب إذ تراءى لعيني ... رسم دار لهم فهاج اشتياقي
هذه دارهـم وأنـت محب ... ما احتباس الدموع في الآماق
والمغاني للصب فيها معاني ... فهي تدعى مصارع العشاق
حل عقد الدموع واحلل رباها ... واهجر الصبر وارع حق الفراق

ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٤٠.

يُخْرِجُكَ عَن شُهُودِ الْوَصْفِ إِلَّا شُهُودَ الْوَصْفِ...» اِنتَهَى.

أَيْ: لَا يُخْرِجُكَ شُهُودُ وَصْفِهِ فِي الشَّيْءِ إِلَّا شُهُودَ تَجَلِّي الْوَصْفِ الْآخَرِ فِي الشَّيْءِ الْآخَرِ.

وَقَالَ أَيْضًا: «مَا الْعَارِفُ إِذَا أَشَارَ بِهِ وَجَدَ الْحَقّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ إِشَارَتِهِ، بَلِ الْعَارِفُ مَن لَا إِشَارَةَ لَهُ؛ لِفَنَائِهِ فِي وُجُودِهِ، وَانطِوَائِهِ فِي شُهُودِهِ».

وَقَالَ أَيْضًا: «مَطْلَبُ الْعَارِفِينَ مِنَ اللهِ: اَلصِّدْقُ فِي الْعُبُودِيَّةِ، وَالْقِيَامُ بِحَقِّ الرُّبُوبِيّةِ».

وَمَا أَجَلَّ قَوْلَ سَيِّدِي أَبِي يَزِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لِلهِ عِبَادٌ لَوْ حَجَبَهُمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ ثُمَّ أُعْطُوا الْجِنَانَ مَا قَبِلُوهَا».

وَقَوْلُهُ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «لِلهِ عِبَادٌ لَوْ حَجَبَهُمْ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ فِي الْجَنّةِ عَن رُؤْيَتِهِ - لَاسْتَغَاثُوا مِنَ الْجَنَّةِ كَمَا يَسْتَغِيثُ أَهْلُ النَّارِ مِنَ النَّارِ».

وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «اَلْعَارِفُ مَن لَا يَفْتَرُ عَن ذِكْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا يَمَلُّ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يَأْنَسُ بِغَيْرِهِ».

وَقَالَ سَيِّدِي مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا تَنَعَّمَ الْمُتَنَعِمُونَ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»، وَقَالَ: «فِي التَّوْرَاةِ آيَةٌ: اَلصِّدِّيقُونَ تَنَعَّمُوا بِذِكْرِي، فَإِنَّهُ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا نَعِيماً، وَفِي الْآخِرَةِ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى».

وَإِذَا كَانَ ذِكْرُهُ النَّعِيمُ الْمُقِيمُ، وَشُهُودُهُ شِفَاءُ الْقَلْبِ السَّقِيمِ، فَأَنَّى

يُذْكَرُ غَيْرُهُ أَوْ يُرَادُ، بَلْ دَأْبُ الْمُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ مَحَبَّةٌ، كُلَّمَا يَفْعَلُهُ الْمَحْبُوبُ وَالتَّلَذُّذُ بِهِ؛ لِتَفَكُّهٍ بِمَظَاهِرِ مَحْبُوبِهِمْ.

وَاللهِ مَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي يَزِيدٍ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنَفَعَنَا بِأَسْرَارِهِ وَأَنْوَارِهِ... آمِينَ:

أُرِيدُكَ، لَا أُرِيدُكَ لِثَوَابٍ ... وَلَكِنِّي أُرِيدُكَ لِلْعِقَابِ

وَكُلُّ مَآرَبِي قَدْ نِلْتُ مِنْهَا ... سِوَى مَلْذُوذُ وُجْدِيَ بِالْعَذَابِ

وَإِذَا اشْتَغَلْتَ أَيُّهَا الرَّاقِي بِمَحَبَّةِ مَن فَوَّضْتَ أَمْرَكَ إِلَيْهِ أَيُّهَا الرَّاجِعُ بِشُهُودٍ مِن كُلِّ الْوُجُودِ، يَقُولُ لَهُ: «**لَبَّيْكَ**». [٣٢]

فَتَيَقَّظْ لِلَّذِي نَدَبَكَ إِلَيْهِ، وَ«**الَّذِي عَلَيْكَ**» أَيْ: وَاشْتَغِلْ فِي أَنفَاسِكَ بِمَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْكَ، «**فِي فَرْضِ الْحَقِيقَةِ**» أَيْ: تَقْدِيرَهَا الْمُسْتَفَادُ مِنْهَا، وَهُوَ الْأَدَبُ الْكَامِلُ الْمَعْرُوفِ عِندَ أَرْبَابِهِ.

وَمِن ذَلِكَ مَا قَالَهُ سَيِّدِي أَبُو نَصْرٍ السَّرَّاجُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اَلنَّاسُ فِي الْأَدَبِ عَلَى ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ:

**إِمَّا أَهْلُ الدُّنْيَا:** فَأَكْثَرُ آدَابِهِمْ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَحِفْظِ الْعُلُومِ وَأَسْمَاءِ الْمُلُوكِ وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ.

**وَإِمَّا أَهْلَ الدِّينِ:** فَأَكْثَرُ آدَابِهِمْ فِي رِيَاضَاتِ النُّفُوسِ وَتَأْدِيبِ الْجَوَارِحِ وَحِفْظِ الْحُدُودِ وَتَرْكِ الشَّهَوَاتِ.

**وَأَمَّا أَهْلَ الْخُصُوصِيَّةِ:** فَأَكْثَرُ آدَابِهِمْ فِي طَهَارَةِ الْقَلْبِ وَمُرَاعَاةِ الْأَسْرَارِ وَالْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَحِفْظِ الْوَقْتِ وَقِلَّةِ الْالْتِفَاتِ إِلَى الْخَوَاطِرِ وَحُسْنِ الْأَدَبِ فِي مَوَاقِفِ الطَّلَبِ وَأَوْقَاتِ الْحُضُورِ وَمَقَامَاتِ الْقُرْبِ... »[١] اِنتَهَى.

وَالثَّالِثَةُ هِيَ الْمَقْصُودُ هُنَا، وَمَا قَالَهُ سَيِّدِي أَحْمَدُ الْغَزَالِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِهِ فِي الدَّارَيْنِ... آمِينَ:

إِذَا صَحِبْتَ الْمُلُوكَ فَلَيْسَ ... مِنَ التَّقْوَى[٢] أَعَزَّ مَلْبَس

وَادْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى ... وَاخْرُجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَس[٣]

وَإِذَا عَلِمْتَ بِالْحَقِيقَةِ - فَالْزَمِ الطَّرِيقَةَ «**وَالشَّرْعَ الْمَصُون**»: [٣٣] أَيِ: الْمَحْفُوظ مِنَ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ فَتُحْفَظُ بِحِفْظِهِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمرِ فَاتَّبِعهَا وَلَا تَتَّبِع أَهوَآءَ الَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ ١٨ إِنَّهُم لَن يُغنُواْ عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيئًا﴾ [الجاثية: ١٨،١٩]، إِلَى

---

(١) ينظر الرسالة القشيرية ٢/٤٤٨، مدارج السالكين ٢/٣٥٧ وقد وقع في النص تشويش حيث حذف القسم الثاني.

(٢) في الحاشية: توقي

(٣) وهذا من وصايا أحمد الغزالي لأخيه أبي حامد الغزالي حجة الاسلام ينظر: التبر المسبوك في نصيحة الملوك: ٦٩، والأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية: ٢٦.

غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ.

وَقَالَ أَعْظَمُ مَنْ أُنكِرَ عَلَيْهِ بِخَرْقِ الشَّرِيعَةِ سَيِّدِي مُحْيِي الدِّينِ ابْنُ الْعَرَبِيّ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

وَرَاكِبُ الْفُلْكِ مَا دَامَتْ تَسَيِّرُهُ ... رِيحُ الشَّرِيعَةِ مَحْفُوظٌ وَمَأْمُونٌ[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّرْعَ وَالشَّرِيعَةَ بِمَعْنًى، وَهِيَ: الْأَمْرُ بِالْتِزَامِ الْعُبُودِيَّةِ بِشَرْطِ الْتِزَامِهَا، وَيُقَالُ: هِيَ مَعْرِفَةُ السُّلُوكِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَالطَّرِيقَةُ: سُلُوكُ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ، وَهُوَ أَعْمَالٌ شَرْعِيَّةٌ لَهَا حُدُودٌ، كَكَوْنِ الصَّلَاةِ رَكْعَتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثِ وِجْهَاتٍ، كَكَوْنِهَا فَرْضًا أَوْ نَفْلاً مُؤَقَّتًا أَوْ غَيْرَ مُؤَقَّتٍ.

وَالْحَقِيقَةُ: مُشَاهَدَةُ الرُّبُوبِيَّةِ بِالْقَلْبِ، وَيُقَالُ: سِرٌّ مَعْنَوِيٌّ، لَا حَدَّ لَهُ وَلَا جِهَةَ.

وَالثَّلَاثُ مُتَلَازِمَةٌ؛ لِأَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، فَظَاهِرُهَا الشَّرِيعَةُ وَالطَّرِيقَةُ، وَبَاطِنُهَا الْحَقِيقَةُ.

فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَلَا تَعْتَمِدُ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَقَطْ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ [٣٤] مَصُونَةٍ، بَلْ لَا لَهَا أَصْلٌ إِلَّا الشَّرِيعَةَ، إِذِ الْحَقِيقَةُ بِلَا شَرِيعَةٍ بَاطِلَةٌ، كَمَا أَنَّ

---

(١) من قصيدة له مطلعها:

قلبي بذكرِكَ مسرورٌ ومحزونٌ ... لما تملكه لمحٌ وتلوينُ

الشَّرِيعَةَ بِلاَ حَقِيقَةٍ عَاطِلَةٌ.

قَالَ سَيِّدِي الْعَارِفُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِبْرَاهِيمُ الدَّسُوقِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**اَلشَّرِيعَةُ أَصْلُ الْحَقِيقَةِ فَرْعٌ، فَالشَّرِيعَةُ جَامِعَةٌ لِكُلِّ عِلْمٍ مَشْرُوعٌ، وَالْحَقِيقَةُ لِكُلِّ عِلْمٍ خَفِيٍّ، وَجَمِيعُ الْمَقَامَاتِ مُدْرَجَةٌ فِيهِمَا**»(١).

وَقَالَ سَيِّدُ الطَّائِفَةِ الْجُنَيْدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**عِلْمُنَا هَذَا مُقَيَّدٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَن لَمْ يَسْمَعِ الْحَدِيثَ وَمَجَالِسَ الْفُقَهَاءِ، وَيَأْخُذَ أَدَبَهُ مِنَ الْمُتَأَدِّبِينَ - أَفْسَدَ مَن يَتَّبَعُهُ**»(٢).

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**بُنِيَتْ أُصُولُنَا عَلَى سِتَّةِ أَشْيَاءَ: كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَكْلُ الْحَلَالِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَاجْتِنَابُ الْآثَامِ، وَالتَّوْبَةُ، وَأَدَاءُ الْحُقُوقِ**»(٣).

وَكُلُّهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ فَصَّلَ ذَلِكَ الْبَيَانِ أَنَّ مَنْ أَدْخَلَ بِشَيْءٍ مِنْهَا وَلَمْ يَحْكُمْهَا - لَمْ يَكُن مِنْ أَهْلِهَا.

وَقَالَ سَيِّدِي أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إِنَّهَا لَتَقَعُ النُّكْتَةُ مَعَ الْكَلَامِ مَعَ الْقَوْمِ فِي قَلْبِي أَيَّامًا، فَأَقُولُ لَهَا: لَا أُقْبَلُكِ إِلَّا بِشَاهِدَيْنِ عَادِلَيْنِ:**

---

(١) ينظر: الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق:٢٣.

(٢) الرسالة القشيرية ١/ ٧٩، مدار السالكين ٣/ ١٣٦.

(٣) ينظر: الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية:٥٨،

[٣٥] اَلْكِتَابِ، وَالسُّنّة»[١].

وَالنَّقْلُ مِنْهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرٌ.

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ: «صُوفِيٌّ بِلَا عِلْمٍ مَسْخَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ».

وَرَحِمَ اللهُ السَّيِّدُ حَيْثُ قَالَ فِي تَائِيَّتِهِ[٢]:

وَمَا فِي طَرِيقِ الْقَوْمِ بِدْءاً وَلا انتِهَاءْ ... مُخَالَفَةٌ لِلشَّرْعِ، فَاسْمَعْ وَانصِت

وَخَلِّ مَقَالَاتِ الَّذِينَ تَخَبَّطُوا ... وَلَا تَكُ إِلَّا مَعْ كِتَابٍ وَسُنَّة

فَتَمَّ الْهُدَى وَالنُّورُ وَالْأَمْنُ مِن رَدَى ... وَمِن فِتْنَةٍ تُخْشَى وَزَيْغٍ وَبِدْعَةِ

وَمُتَّبِعُوا حُكْمِ الْكِتَابِ وَسُنَّة ... هُمُ الْمُفْلِحُونَ، الْفَائِزُونَ بِجَنَّة[٣]

إِذَا اشْتَغَلْتَ بِمَحَبَّةِ رَبِّكَ، وَحَصَلَ لَكَ الْعِرْفَانُ مِن فَيْضِ الْمَنَّانِ فِي صُعُودِكَ، وَتَيَقَّظْتَ لِشُهُودِ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ نَفَسٍ فِي رُجُوعِكَ، «لَا تُكْثِرْ هَمّك» بِمَا فِي الْوُجُودِ يَكُونُ، «مَا قُدِّرَ يَكُون»، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى السُّلُوكِ بَعْدَ الْوُصُولِ، وَقَدْ يَثْبُتُ لَكَ كُلاًّ مِنْهَا مَعًا، وَالْمِنَّة لِلهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/ ٨٩.

(٢) من قصيدة للسيد عبدالله الحداد مطلعها:

بعثت لجيران العقيق تحيتي ... وأودعتها ريح الصبا حين هبت

سحيراً وقد مرت على فحركت ... فؤادي كتحريك الغصون الرطيبة

(٣) ينظر الديوان: ٨٨، من قصيدة مطلعها:

بعثت لجيران العقيق تحيتي ... وأودعتها ريح الصبا حيث هبت

وَإِلَى هُنَا انتَهَى بَيَانُ السُّلُوكِ، لَا الْوُصُولُ.

وَبَيَانُ الْعِرْفَانِ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْاشْتِغَالِ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حُبًّا وَشُهُودًا، مَعَ اللُّزُومِ لِلشَّرِيعَةِ، وَهُوَ مَقَامُ الْوَلِيِّ الْحَقِيقِيِّ الْجَامِعِ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ الْحَقِيقَةِ، الَّذِي أُعْطِيَ الْاسْتِقَامَةَ[١] الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا كَرَامَة، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: [٣٦] «ذَرَّةُ اسْتِقَامةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ كَرَامَةٍ»[٢].

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَارِفِينَ إِلَّا وَيَسْتَغِيثُ اللهَ فِي طَلَبِهَا أَبَدًا، حَالًا وَمَقَالًا، وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اقْتِبَاسَهُمْ، وَشَمَّ أَنفَاسَهُمْ، وَلِذَا قَالَ سَيِّدِي عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «أَعْطَانِيَ اللهُ ثَلَاثِينَ عَهْدًا أَوْ مِيثَاقًا، أَن لَا يَمْكُرَ بِي، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ أَمِنتَ بَعْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا،

---

(١) وهي كما قال الحداد في الفصول العلمية والأصول الحكمية:٧٦ (الاستقامة هي الخصلة الجامعة للعلوم النافعة، والأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، مع الثبات والاستواء، من غير تزلزل ولا اضطراب، ولا زيغ ولا التواء وقد قال بعض السلف: الكرامة الجامعة هي الاستقامة، وقد رأى بعض الصالحين رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله، إنك قلت حين قيل لك قد شبت يا رسول الله: شيبتني هود وأخواتها، فما الذي شيبك منها، فقال عليه السلام قوله تعالى: (فاستقم كما أمرت ))

(٢) لأن الاستقامة لا يعطيها الله إلا لمن يحب، وأما الكرامة فيعطيها الله لمن يحب ولمن لا يحب.، ونسب هذا القول للجنيد ينظر: زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم:٤٦١.

**بَلْ حَالِي بَعْدَ الْعَهْدِ كَقَبْلِه»**[١].

وَرَأَى مَرَّةً نُورًا مَلأَ الْأُفُقَ، وَنُودِيَ مِنْهُ: أَنَا رَبُّكَ، وَقَدْ أَبَحْتُ لَكَ الْمُحَرَّمَاتِ. فَقَالَ: «**اخْسَأْ يَا لَعِينُ. فَانقَلَبَ النُّورُ دُخَانًا وَظَلَامًا، فَقَالَ: نَجَوْتَ مِنِّي بِفِقْهِكَ فِي أَحْكَامِ مَنَازِلِكَ، وَقَدْ أَضْلَلْتُ بِهَذَا سَبْعِينَ صِدِّيقًا، فَسُئِلَ: بِمَ عَرَفْتَ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ؟ قَالَ: بِقَوْلِهِ: أَبَحْتُ لَكَ الْمُحَرَّمَاتِ**».

فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَلَا تَغْتَرَّ بِخَبْطِ الشَّيَاطِينِ اللَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْأَوْلِيَاءَ يَخْرِقُونَ الشَّرِيعَةَ لِمَا رَأَوْ مِن كَلِمَاتٍ وَأَحْوَالٍ صَدَرَتْ مِنْهُمْ فِي حَالِ سُكْرِهِمْ، وَهُمْ فِيهَا مَعْذُورُونَ، أَوْ فِي حَالِ صَحْوِهِمْ.

وَلَهُمْ فِيهَا اصْطِلَاحَاتٌ وَمُكَاشَفَاتٌ، وَكَيْفَ يَزْعُمُ بِهِمْ ذَلِكَ.

وَهَذَا أَكْبَرُ مِنْ أَنْ أُنكِرَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ ابْنُ الْعَرَبِيُّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ، لَوْ نَظَرْتَ إِلَى كَثِيرٍ مِن كُتُبِهِ وَجَدْتَهُ مَمْلُوءً تَوْحِيدًا كَامِلاً، وَحَثًّا عَلَى الشَّرِيعَةِ فَاضِلاً، وَمِن جُمْلَةِ نَظْمِهِ فِي ذَلِكَ، مَا قَالَ[٢]:

مَا نَالَ مَن جَعَلَ الشَّرِيعَةَ جَانِبًا ... شَيًّا وَلَوْ بَلَغَ السَّمَاءَ مَنَارُهُ

وَقُلْتُ مُتَمِّمًا لِذَلِكَ:

بَلْ لَمْ يَكُن شَيْئًا إِذَا لَمْ يَرْعَهَا ... حَتَّى وَلَوْ فَاقَ الْوُجُودَ فِعَالُهُ

---

(١) ينظر: تفسير روح البيان٨/٦٥٨.

(٢) من قصيدة مطلعها:

هذا المقام وهذه أسرارُه ... رُفع الحجاب فأشرقت أنوارُه

أَفَلاَ تَرَى إِبْلِيسَ، أَكْثَرُ مَنْ عَبَدَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَقًّا، قَدْ هَوَى مِشْكَارهُ، بَلْ لَوْ مَنَحَكَ اللهُ شَيْئًا مِمَّا مَنَحُهُمْ لَعَلِمْتَ أَنَّهُمُ الْعَامِلُونَ بِالشَّرِيعَةِ لَا غَيْر.

وَإِذَا رَأَيْتَ مِمَّن كَانَ حَالُهُ كَمَا عَلِمْتَ، شَيْئًا مِمَّا يُخَالِفُ الشَّرْعَ - فَسَلِّمْ لَهُ حَالَهُ، وَلَا تُنكِرْ عَلَيْهِ، فَعَسَى اللهُ أَن يَنفَحَكَ مِن نَفَحَاتِهِ، وَفِي «نَصِيحَةِ»[١] سَيِّدِي أَحْمَد زَرُّوق رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ: «وَأَنشَدَ بَعْضُهُمْ نَفَعَنَا اللهُ بِهِمْ فِي الدَّارَيْنِ... آمِينَ:

سَتَبْدُوا لَكَ الْأَسْرَارَ بَعْدَ اكْتِتَامِهَا ... كَأَنَّ الَّذِي قَدْ صَانَهَا عِندَ مُخْبِرِ

فَسَلِّمْ لَهُمْ فَالْقَوْمُ أَهْلُ عِنَايَةٍ ... وَخَامِلُهُمْ فِي الْوَصْفِ لَا يَتَحَقَّرِ

وَإِن كُنتَ يَا هَذَا بِهِمْ مُتَمَسِّكًا ... فَانَكَ طُولَ الدَّهْرِ لَا تَتَغَيَّرِ

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِنَّ لِلّهِ عِبَادًا، مِنَ نَّظَر الى أَحَدِهِمْ نَظْرَةً سَعِدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا**»[٢].

وَفِي الْحَدِيثِ: [٣٨] «**هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**»[٣].

---

(١) شرح النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية لأحمد زروق ٢/٦٨٨.

(٢) لا يوجد مسندا في كتب السنة.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح برقم(٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة بلفظ» إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فيه ذِكْرٌ قَعَدُوا معهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حتَّى يَمْلَؤُوا ما بيْنَهُمْ

وَاللهِ مَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ مُسْتَغِيثًا:

يَا عَبِيدَ الْإِلَهِ إِنَّا عَبِيدُ ... لَاذَ مَن جَاءَكُمْ بِرُكْنٍ قَوِي

فَاقْبَلُوهُ بِفَضْلِكُمْ وَارْحَمُوهُ ... وَاشْفَعُوا فِيهِ لِلْإِلَهِ الْعَلِي

اَللَّهُمَّ إِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ أَحَبُّوكَ، وَمَا أَحَبُّوكَ حَتَّى حَبَّبْتَهُمْ، فَبِحُبِّكَ إِيَّاهُمْ وَصَلُوا إِلَى حُبِّكَ، وَنَحْنُ لَمْ نَصِلْ إِلَى حُبِّهِمْ فِيكَ إِلَّا لِحَظْنَا مِنكَ لَحْظَةً، فَتَمِّمْ لَنَا ذَلِكَ مَعَ الْعَافِيَةِ الشَّامِلَةِ، التَّامَّةِ الْكَامِلَةِ، حَتَّى نَلْقَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وَإِلَى هُنَا انتَهَى الْكَلَامُ عَلَى الْأَبْيَاتِ الْمَقْصُودَةِ.

وَقَدْ هَزَّ بَعْضُ الْمُحِبِّينَ الشَّوْقُ فَطَلَبَ مِنَ السَّيِّدِ كَمَالَ فَضْلِ الشَّوْقِ، لِيَحْصُلَ لَهُ كَمَالَ الْأَجْرِ وَالذَّوْقِ، أَوْ تَجَاهَلَ فِي مَقَامِ الْمَعْرِفَةِ وَالظُّهُورِ

---

وبيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إلى السَّمَاءِ، قالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهو أَعْلَمُ بِهِمْ: مِن أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فيَقولونَ: جِئْنَا مِن عِندِ عِبَادٍ لكَ في الأرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قالوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قالَ: وَهلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: لَا، أَيْ رَبِّ قالَ: فَكيفَ لو رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قالوا: مِن نَارِكَ يا رَبِّ، قالَ: وَهلْ رَأَوْا نَارِي؟ قالوا: لَا، قالَ: فَكيفَ لو رَأَوْا نَارِي؟ قالوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قالَ: فيَقولُ: قدْ غَفَرْتُ لهمْ فأعْطَيْتُهُمْ ما سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قالَ: فيَقولونَ: رَبِّ فيهم فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إنَّما مَرَّ فَجَلَسَ معهُمْ، قالَ: فيَقولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.» وهو عند البخاري برقم(٦٤٠٨) ولفظه» هُمُ الجُلَساءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ «

إِلَيْهِمْ فِي أَوْدِيَةِ الشَّوْقِ الْمَشْكُورِ، وَلِسَانُ حَالِهِ يُنشِدُ وَيَقُولُ [شعر] نَفَعَنَا اللهُ بِهِمْ... آمِينَ:

أَأَقْنَعُ بِالتِبَاشُر وَاللَّوَامِعِ ... وَأَرْضَى بِالْبُرُوقِ وَبِالسَّوَاطِعِ

وَمَقْصُودِي هَيَامٌ فِي بِحَارٍ ... حَوَتْ سِرّاً أَطَمَ عَلَى الْمَسَامِعِ

فَقَالَ: شَرْعُ مَن ذَا الَّذِي بَرْقَهُ يُذِيبُ الذَّوْقَ، وَيَصْعَدُ بِالنَّفْسِ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى فَوْق، فَأَجَابَهُ السَّيِّدُ بِقَوْلِهِ: «**اَلْوُقُودُ شَرْعَ الْمُصْطَفَى مِن جَمِيعِ الْوُجُودِ، الْهَادِي كُلِّ شَاهِدٍ لِمَشْهُودٍ، اَلْبَشِيرُ لِكُلِّ عَبْدٍ بِفَيْضِ [٣٩] رَحْمَةِ الْمَلِكِ الْمَعْبُودِ، خَتَمَ الْأَنبِيَاءَ الْمُكَرَّمِينَ الشُّهُود، اَلْبَدْرُ الطَّالِعُ فِي جَمِيعِ مَشَاهِدِ الشُّهُودِ، اَلْمُنِيرُ لِكُلِّ مَا سِوَى مَوْلَاهُ مِنَ الْوُجُودِ، فَذُقْ أَيُّهَا الْعَاشِقُ هَيَامَ وُجُودٍ، بِقَلْبٍ وَرُوحٍ وَجِسْمٍ؛ كَيْ لَا تَكُن مَبْعُودًا**».

وَقَدْ حَثَّتْنِي عَلَى التَّكْمِيلِ بِذِكْرِ السَّيِّدِ الْجَلِيلِ بِالصَّلَاةِ عَلَى السَّيِّدِ النَّبِيلِ، وَإِنِّي عَاجِزٌ عَنِ الْقِيَامِ بِالثَّنَاءِ الطَّوِيلِ، وَلَكِنْ أَمْتَثِلُ أَمْرَكَ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّحْرِيكِ وَالتَّفْصِيلِ، فَأَقُولُ بِلِسَانِ الْحَالِ الْقَلْبِ الْقَصِيرِ:

«**صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ الرَّبُّ الْقَدِير**» الَّذِي ثَنَاءُ كُلِّ أَحَدٍ دُونَ ثَنَائِهِ حَصْرًا.

«**مَا رِيحُ الصَّبا**»: أَيْ: مَا دَامَتْ رِيحُ صَبَا الْقُلُوبِ: قُلُوبُ الْمُحِبِّينَ الْمُحَرِّكَةُ لِشَجَا أَسْرَارِ ذَوِي الْفَيْضِ الْمَنُونِ.

«**مَالَتِ الْغُصُون**»: أَيْ: مَالَتْ بِغُصُونِ مَحَبَّةِ قُلُوبِهِمْ إِلَى الْحَنِينِ لِشُهُودِ

مَحْبُوبِهِمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَنقَطِعُ أَبَدًا، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٦٤] أَزَلًا، وَيُحِبُّونَهُ أَبَدًا.

وَإِذَا قَدْ أَجَبْتُكَ وَحَصَلَ مَطْلُوبِي وَمَطْلُوبُكَ - فَلاَ تَأْسَفْ عَلَى مَا فَاتَنِي سَابِقًا.

«**لَا تُكْثِرْ هَمَّك**» إِن دَخَلَكَ شَيْءٌ بِمَا طَلَبْتَ مِنِّي، لَا خَفَاءَ.

«**مَا قُدِّرَ يَكُون**»: أَيْ: مَا قُدِّرَ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ مِنَ الْفَوَاتِ، وَمَا دَخَلَكَ مِنْ رُؤْيَتِكَ قَلَّةَ الْأَدَبِ مَعِي[1]، وَالْعَجَبُ بِتَنبِيهِي يَكُونُ، لاَ مَحَالَةَ.

---

(١) ومن مواطن الأدب التي ينبغى للراغب الاحاطة بها ما ذكره الحداد وذلك أنه « قد دخل عليه رضي الله عنه بعض طلبة العلم من السادة، وكان صغير السن، وعنده رجل من السادة شيبة، فجعله بينه وبين ذلك الشيبة، فقال له: اجلس، وفلان ما نحاذره، قال هو: لكن تقديم الكبير في المجلس من الأدب، وإن كنت أريد القرب من مجلسكم، فقال سيدنا نفع الله به: الأدب يعفى عنه في بعض الأوقات، وفي بعض المجالس، إذا عَرَف عند ذلك من أهل الأدب أنهم يؤثرون منه ترك الأدب، فتركُ الأدب مع المحبة من حسن الأدب، فقد قال ابن عربي: جلست مرة مع جماعة، وبقوا متأدبين، حتى ضِقْت من تأدبهم معي، وكنت أريد منهم الانبساط، فلم يفعلوا، فصنفت كتاباً سميته كتاب «الإرشاد في خرق الأدب المعتاد» . فذكرته يوماً لجماعة كانوا جالسين معي في بعض الأيام، فقالوا: أرناه، قلت: ما هو حاضر الآن، ولكني أحفظ منه الآن باباً، قالوا: أرْوِه لنا، قال: فناولت رجلي أكبرهم، وقلت له: فصها، ولذلك شاهد من السنة وهو إن النبي صلَّى الله عليه و آله وسلَّم، لما كان جالساً في بعض الأيام، في بعض الأماكن، وكان كاشفاً عن فخذه، فدخل عليه أبو بكر، ثم عمر، وهو كذلك حتى دخل عليه عثمان،

وَاعْلَمْ أَنَّ الطَّالِبَ ذَلِكَ رُبَّمَا يَرَى نَفْسَهُ قَدْ أَقَلَّ أَدَبَهُ بِالطَّلَبِ، أَوْ يَعْتَرِيهِ عُجْبٌ عِندَ طَلَبِهِ مِنَ السَّيِّدِ، ذَلِكَ حَيْثُ نَبَّهَهُ عَلَى شَيْءٍ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ؛ لِأَنَّ الْإِنسَانَ مَحَلُّ النُّقْصَانِ، فَيَهْتَمُ لِذَلِكَ فَدَاوَاهُ، بِقَوْلِهِ:

«**لَا تُكْثِرْ هَمَّك**»، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِكَ أَنَّ اسْتِفْهَامَ السَّائِلِ كَانَ مِنَ الْجَهْلِ، إِذْ لَوْ فَهِمَ السَّيِّدُ مِنْهُ ذَلِكَ لَمَا أَجَابَهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً، وَجَوَابُهُ عَدَمُ السَّمَاعِ لَهُ.

وَلَكِنَّ دَأْبَ الْمُحِبِّينَ الْاسْتِجْهَالُ فِي مَقَامِ الْمَعْرِفَةِ لِتَتَلَاطَمَ فِي بِحَارِ قُلُوبِهِمْ أَمْوَاجُ الْمَحَبَّةِ، وَتَذُوبَ أَحْشَاؤُهُمْ مِن كَمَالِ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ؛ لِأَنَّ قَصْدَهُمْ فَقْدُ الْفَوْتِ وَلَوْ بِالْمَوْتِ.

---

فغطى فخذه، وكان لأبي بكر وعمر منه من الانبساط إلى هذا الحد، ولعثمان من الحياء كذلك، وفي ذلك شاهد، ثم لما دخل سيدنا علي والمكان غاص، فلم يجد له محلاً، فقام له أبو بكر وأجلسه بينه وبين رسول الله صلَّى الله عليه و آله وسلَّم، فشكر صلَّى الله عليه و آله وسلَّم لأبي بكر رضي الله عنه ذلك، وقال: يا أبابكر أنت من أهل الفضل، فإنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهلُ الفضل، وإنما نزلت آية :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا} في أهل بدر، يتفسح لهم من ليس من أهل بدر، لأنه كان عليه السلام، إذا جلس يَسبِقُ إلى مجلسه من يحضره من غيرهم، فإذا أتوا إذ المجلس ملآن من غيرهم، فأُمِروا بالتفسح لهم» ينظر: تثبيت الفؤاد بذكر مجالس القطب عبدالله الحداد ١/ ٢٧٧.

قَالَ سَيِّدِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيُّ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «حَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ أَن تَهَبَ كُلَّكَ لِمَنْ أَحْبَبْتَ، فَلَا يَبْقَى مِنكَ شَيْءٌ»[١].

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ رَحِمَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُوصِي بَعْضَ أَصْحَابِهِ: «وَطِّن نَفْسَكَ بِبَذْلِ الرُّوحِ، وَلَا تَلْعَبْ لَعْبَ الصِّبْيَانِ، وَلَا تَفْرَحْ بِبَعْضِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَلْوَانِ، كَمَا يَفْرَحُ الصِّبْيَانُ بِالْكُرَةِ وَالصُّولَجَانِ، وَاتَّخِذْ مِن رَأْسِكَ كُرَةً، وَمِنْ عَزِيمَتِكَ صُولَجَانٌ، وَاضْرِبْهَا دَائِمًا فِي مَيْدَانِ الطَّرِيقَةِ، وَلَا تَطْمَعْ فِي الظَّفَرِ بِهَذَا الْأَمْرِ مُبَاهَاةً وَمُفَاخَرَاتٍ، [٤١] فَقَدْ وَقَعَتْ فِي بَحْرٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ، ﴿قُل لَّو كَانَ البَحرُ مِدَادا لِّكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحرُ قَبلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَو جِئنَا بِمِثلِهِ مَدَدا ١٠٩﴾ [الكهف]» انتَهَى مِن كَلَامِ «السَّلْوَةِ فِي شَرَائِطِ الْخَلْوَةِ»[٢].

---

(١) ينظر: تهذيب مدارج السالكين (٥١٢).

(٢) وهو للخاصي:الموفق بن محمد بن الحسن الخوارزمي صدر الدين،أبو المؤيد(٦٣٤هـ)، بحوزتي نسخة خطية منه إلا أنني لم أهتد لموطن النقل هذا.

وَاعْلَمْ أَنَّ السَّالِكِينَ[١] عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ:

سَالِكٌ فَقَطْ

وَسَالِكٌ مُتَدَارِكٌ بِالْجَذْبِ[٢]

---

(١) السلوك هو:الاجتهاد في العمل الصالح والكدّ في المجاهدة والرياضة وصاحب هذا المقام إن لم يفاجئه المقام الجذبي بمفاجأة الفتح لا يحصل به الانتفاع كذلك كالقسم الأول ولا يصلح لانتفاع غيره في مقام التربية والإرشاد، فلا بد من المجاهدة وهي شرط رئيس للكشف والفناء، وبدونها لا يمكن للزاهدين والسالكين أن يصلوا إلى نهاية الطريق، يقول أبو علي الدقاق: «إن من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة» ويضيف «من لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته جلسة .. الحركة بركة، حركات الظواهر توجب بركات السرائر».

ويقول أبو عثمان المغربي: «من ظن أنه يفتح له بشيء من هذه الطريقة أو يكشف له شيء منها بغير لزوم المجاهدة فهو في غالط».

(٢) الجذب هو: مفاجأة الفتح من غير تقدّم عمل من غير ميزان ولا قانون ولااستعداد بل بوارد إلهي بلا شعور لصاحبه ولذلك كان المبدوء بالجذب في الغالب يكون جذبه مطبقا فيعدم التمييز ولذلك لا يحصل به الانتفاع به غالبا وقد حذر أهل الحق من مخالطة أهل هذا الصنف لعدم الانتفاع بهم وهم غالبا لا تتصوّر منهم التربية لغيرهم لاضطلاعهم وعدم شعورهم.، قال الشيخ عبد الله الحداد» وإن منه جذب سماوي وسفلي، فإن كان سماوياً يكون عقله تالفاً بالأمور السّماوية، وإن كان سُفليّاً فذهاب عَقْله بالأمور السفلية . والعلويةُ كخوف من الله أو شوق إليه ونحو ذلك، والسفلية كعشق العامة . ينظر: تثبيت الفؤاد بذكر مجالس القطب عبدالله الحداد٢/٢٢٢.

وَمَجْذُوبٌ مُتَدَارِكٌ بِالسُّلُوكِ[١].

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ مِنْهَا أَعْلَى مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا، وبَقِيَ رَابِعٌ: وَهُوَ سُلُوكُ الْمُنتَهِي الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْأَدَبِ الْكَامِلِ[٢].

وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الْكَلِمَاتِ نَافِعَةٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَرْبَعَةِ إِذَا تَأَمَّلَهَا بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ، وَأَمَّا الْمَجْذُوبُ فَقَطْ فَلاَ كَلاَمَ مَعَهُ.

وَقَدْ تَمَّتْ فَجَاءَتْ عَلَى اسْمِهَا «تَنبيه الْحَقِّ فِي عِلْمِ الْفَرْقِ» لِمَا حَوَتْهُ مِن جَوَاهِرِ الْكَلاَمِ: كَلاَمِ الْعَارِفِينَ، وَأَبْيَاتِهِمُ الْمُهَيِّجَةُ لِلشَّوْقِ، وَالْمَزِيدِ فِي فُيُوضِ مَن لَهُ الْمَحَبَّةُ وَالذَّوْقُ.

وَالْحَمْدُ لِلهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

قَالَ جَامِعُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، فَقِيرُ إِلَهِ الْعَالَمِينَ، عَبْدُ اللهِ بْنُ السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ

---

(١) والفرق بين السالك والمجذوب كما قال الشيخ عبد الله الحداد «الأمور الإلهية كلها ترفعك، وعليك بقراءة القرآن، وإن عجزت عنه لا تعجز عن الذكر، فهو يوصلك إلى حيث أردت من أمور الدين، والصعود إلى العالم العُلوي عَسِر، كما يطلع الإنسان البئر، إلا أنه فرق بين من يطلعه بحبل يُشلونه به، وبين من يطلعها بلا حبل، وهذا هو الفرق بين السالك والمجذوب». ينظر: تثبيت الفؤاد بذكر مجالس القطب عبدالله الحداد١/ ٢٠١.

(٢) ينظر: موسوعة كشف اصطلحات الفنون والعلوم١/ ٩٦٩، موسوعة التصوف الإسلامي: ٢٠٠.

بْنِ حَسَن مِيرْغَنِي الْحَنِيفِيُّ الْحَنَفِيُّ: اَلْمَقْصُودُ مِنَ السَّادَاتِ وَالْإِخْوَانِ - اَلدُّعَاءُ بِالْإِخْلَاصِ[١]، وَالْخَلَاصِ مِن كُدُورَاتِ [٤٢] الْأَنْفَاسِ، وَأَن يُلْحِقَنِي بِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ.

وَقَدْ تَمَّتْ فِي شَعْبَانَ الْمُبَارَكِ، اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أَجْمَعِينَ، اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِمُصَنِّفِهَا وَكَاتِبِهَا وَقَارِئِهَا وَمُسْتَمِعِهَا وَمُحِبِّهَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ... آمِينَ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَكْرَمِينَ، وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس]، وَنَسْأَلُهُ الْهِدَايَةَ وَالْهُدَى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

---

(١) ويتحقق ذلكم بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن بظهر الغيب كما قال الشيخ عبد الله الحداد» وقد قال له رضي الله عنه رجل من السادة: ادع لنا، فقال نفع الله به: وما مع الإنسان ما يصل به أخاه إلا الدعاء، والدعاء علامة المحبة، ولم يجعل الله دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مقبولاً، إلا لما فيه من الإخلاص المقترن بالمحبة، ولهذا جاء الترغيب في ذلك، والأشياء إنما تعرف بأصولها لا بالفروع، فإذا أخذتَ بالفروع، فترق منها إلى الأصول، ولا عكس، فإذا أخذتَ بالأصول لا ترجع إلى الفروع .» ينظر: تثبيت الفؤاد بذكر مجالس القطب عبدالله الحداد١/ ١٦٤.

# المحتويات

الاهداء ..... ٣
المقدمة ..... ٥
إسعاد الفؤاد في ترجمة السيد عبد الله الحداد ..... ٨
أسمه ونسبه ..... ٨
اولاده وذريته ..... ٩
أشياخه الذين أخذ عنهم ..... ١٠
تلامذته ..... ١١
ذهابه للحج وزيارته للنبي المصطفى ﷺ ..... ١١
ومن جليل أقواله : ..... ١٣
مؤلفاته ورسائله ..... ١٣
وفاته ..... ١٥
القَصِيدَةِ شَرْحُ قَصِيدَةِ الْإِمَامِ السَيِّد العَارِفِ باللهِ عَبْدِ اللهِ بنْ عَلَوي الْحَدَّادِ الحَضْرَمِي ﴿الْزَمْ بَابَ رَبِّكَ﴾ لِلشَّيْخِ الْعَلاَّمَةِ مُحَمَّدْ حَيَاةِ السِّنْدِيُّ الْمَدَنِيُّ (ت: ١١٦٣هـ) ..... ١٨
الرَّوضُ النَّدِيُ فِي تَرْجَمَةِ الشَّيخِ مُحَمَّد حَيَاة السِّنْدِي ..... ١٩
اسمه ونسبه ..... ١٩

طلبه للعلم وأبرز مشايخه: ..... ١٩
تلاميذه: ..... ٢٠
مؤلفاته..... ٢٠
ثناء العلماء عليه ..... ٢١
تَنبِيهُ الحَقِّ فِي عِلْمِ الْفِرَقِ وَفَتْحُ الْمُتَعَالِي فِي وَقْتِ إِغْفَالِي شَرحُ قَصِيدَةِ ﴿اِلْزَمْ بَابَ رَبِّكَ وَاتْرُكْ كُلَّ دُون﴾ لِلسَيِّد العَارِفِ باللهِ عَبْدِ اللهِ بنْ عَلَوي الْحَدَّادِ الحَضْرَمِي (١١٣٢ هـ) شَرَحَهَا السَّيِّدُ عَبْدُ اللهِ بْنُ السَّيِدِ إِبْرَاهِيمْ المِيرْغِنِي ..... ٤٥
المَورِدُ الهَنِيُ فِي تَرْجَمَةِ الشَّيخِ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِبْرَاهِيمْ المِيرْغِنِي ..... ٤٦
اسمه ونسبه ..... ٤٦
من مؤلفاته ..... ٤٦
المحتويات..... ١٠٥


كنز العلم الموصل
سلسلة تحقيقات تراثية ٧
قصيدة
«الزم بابَ ربِّك واترك كلَّ دون»
للسيِّد العارفِ بالله
عَبد الله بنُ عَلوي الحَدَّاد الحضرَمي (١١٣٢ هـ)
نَفَعَنَا اللهُ به
وعليها شَرْحان
شرح قصيدة الإمام الحدّاد
«الزم بابَ ربِّك»
للشَّيخ العَلاَّمة
مُحَمَّدْ حَيَاة السِّنديُّ المَدَنِيُّ (ت: ١١٦٣هـ)
تنبيه الحقّ في علم الفرق
وفتح المتعالي في وقت إغفالي
للسَّيِّدْ عَبْدُ الله بنُ السَّيِّد إبْرَاهِيمْ المِرْغِني (ت: ١٢٠٧هـ)
ضَبَطَهَا وَعَلَّقَ حَوَاشِيَهَا
عَبْدُالله بنُ عُمَرْ بنُ عَبْدُ الجَمِيل